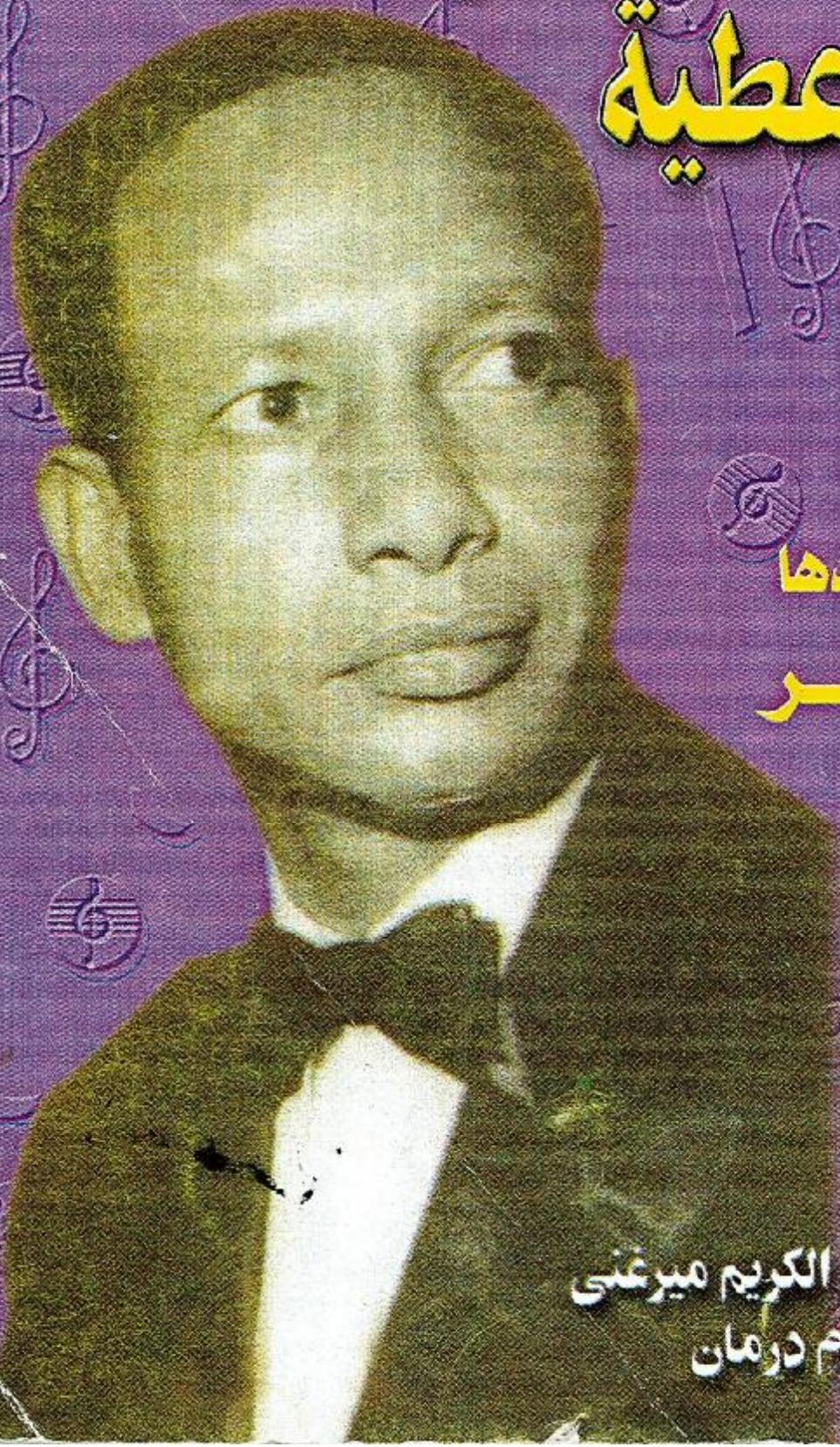


مذكرات أمير العود

حسن عطية



سجلها وأعدها
فؤاد عمر



الناشر مركز عبد الكريم ميرغني
الثقافي أم درمان

مذكرات أمير العود
الفنان حسن عطيةه
سجلها وأعدتها للنشر
فؤاد عمر



الناشر: مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافي
أم درمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم الإعلامي الكبير أمين بسيونى

فؤاد عمر شخصية إعلامية ذات مذاق خاص ذات بصمة خاصة.. ولذلك كان طبيعياً أن تحظى بتكرييم خاص نالت أعلى الاوسمة من سلطات وادي النيل شماليه وجنوبه على السواء : من الرئيس محمد حسني مبارك الذي كرمه بنوط الامتياز من الطبقة الاولى في عام ١٩٩١ . ومن الرئيس عمر البشير الذي كرمه بوسام النيلين في عام ٢٠٠٢ ثم اضافت جامعة الخرطوم تكريماً ثالثاً بمنحه الدكتوراه الفخرية في نفس العام.

لقد منح فؤاد عمر عمره لوادي النيل كوطنه واحد يسكن عقله ووجدانه بكل شبر فيه، واعطى فأغدق العطاء كسفير فوق العادة يتحرك بين القاهرة والخرطوم.

لقد رحبت عندهما طلب مني الصديق العزيز السر احمد قدور ان أكتب مقدمة لآخر ما قدم فؤاد عمر للمطبعة وهو كتاب حسن عطية أمير العود الذى يتناول فيه سيرة واحد من أكبر مطربى السودان. وهكذا يجتمع ابن من جنوب الوادى وابن من شمال الوادى فى سفر يمثل عمق علاقة أبناء الوادى شماليه وجنوبه ويمثل فؤاد عمر الرمز المشترك لهذه العلاقة العضوية .

فى منتصف الخمسينيات فى مبنى ٤ شارع الشريفيين هو كمذيع فى ركن السودان، وانا كمذيع فى صوت العرب ومنذ البداية تعلق قلبه بالسودان وعبر عن هذا الانتماء من خلال الحرص على بقائه فى اذاعة ركن السودان، عندما قامت بعض المشكلات بينه وبين احد رؤسائه فاستدعاه

رئيس الاذاعة المصرية فى ذلك الحين السيد / امين حماد ليحل المشكلة وعرض عليه ان ينقله الى الاذاعة الرئيسية وهى اذاعة القاهرة فشكره ورفض العرض، وقال كلمته البسيطة العميقه.. لقد اخترت ركن السودان وسابقى وفياته ولاختوتها فى السودان الذين ارتبطت بهم عبر اثيره ولم يهد عن ذلك طوال حياته.

قدم العديد من البرامج التى اصبحت بصمات ثابتة على خريطة إذاعة ركن السودان (اذاعة وادى النيل فيما بعد) واشهرها برنامج حبابك عشرة، ولبالي السودان وقصة اغنية حكاوى واغانى الشريط رقم نجوم الفن السودانى مسرح الفكاهة حكايات وذكريات وغيرها كثير وكثير، واتاحت له هذه العشرة الطويلة من رموز الحياة السودانية فى السياسة والثقافة والادب والفن ان يحتفظ بتسجيلات نادرة لهم جمیعاً واتاحت له بدورها ان يكتب عن واقع عطائه الخصب عدداً من الكتب عن هذه النجوم اللامعة فى سماء السودان منها ذكرياتى مع الفن السودانى محمد عوض الكريم القرشى سيد خليفة مطروب الجماهير مع رواد الغناء السودانى. وكان اخر كتاب له فى هذا المجال هو الذى بين يديكم عن ذكريات الفنان حسن عطية.

وقد أتاح لنا القدر ان نعمل سوياً في إطار اذاعة صوت العرب التي تحولت الى شبكة اذاعية تضم اذاعات العربية التي تطلق من القاهرة وهي اذاعة ركن السودان واذاعة فلسطين والى جانب اذاعة صوت العرب بالطبع. ثم اتاح لنا القدر ان نشارك سوياً في انشاء اذاعة وادى النيل التي انبثقت من مسيرة التكامل بين شمال الوادى وجنوبه لتكون منبره والمعبر عن شعبه

الواحد بكل احلامه وطموحاته المشتركة. وكان فؤاد عمر اول رئيس لاذاعة وادي النيل واكبر ما اعزز به ان الميثاق الذي وضعناه سويا انا والاخ فؤاد وبقية الرواد العاملين في اذاعة ركن السودان اندماج كان من العمق والصدق والصلاحية في استشرافه للثوابت في وادي النيل الى الحد الذي جعل اذاعة وادي النيل مازالت منبراً قائماً حتى الان رغم بعض الرياح التي اثرت على العلاقة العضوية بين الشمال والجنوب. هذه مجرد لمحات من عطاء طويل وتسجيلات نادرة لهذا العطاء تحتفظ بها مكتبة اذاعة وادي النيل واذاعة ام درمان على السواء. وتلك البصمة هي البصمة الخاصة لفؤاد عمر الذي عاش للوادي شمالي وجنوبي . فكرمه الوادي بشماله وجنوبه.

أمين بسيونى

الإهداء

إلى الأشقاء الأعزاء أصدقائي
الأستاذ محمود صالح عثمان صالح
البروفسيور على شمو
الفريق دكتور عمر أحمد قدور
الأستاذ عثمان محمد الحسن
وإلى أخواتي أسرة مركز عبد الكريم ميرغني بأمدرمان ..
أهدى هذا الجهد المتواضع

فؤاد عمر

القاهرة .. أول يناير ٢٠٠٣

كلمة المؤلف

كان لقائي معه ولأول مرة في القاهرة، وذلك بعد شهور قليلة من تسلمي العمل بإذاعة ركن السودان، وكان ذلك في النصف الأول من عام ١٩٥٥م من القرن الماضي، ولم يكن أمير العود وحده فقد كان معه العميد الفنان أحمد المصطفى بالإضافة إلى الفنان إبراهيم الكاشف والفنان عبد العزيز محمد داود رحمة الله عليهم جميعاً - وأنضم إلى هذه الكوكبة من الفنانين الشاعر الكبير عبد المنعم عبد الحفيظ والموسيقار برعى محمد دفع الله - رحمة الله عليهما - حكم تواجدهما بالقاهرة خلال تلك الفترة..

وكان ظروف عملى في الإذاعة كمسئول عن التسجيل الغنائي الجديد تفرض على اللقاء بصفة شبه يومية مع هؤلاء الفنانين سواء في الإذاعة أو خارج الإذاعة وكثيراً ما كنت أحضر مع كل منهم إجراء التجارب "البروفات" قبل التسجيل داخل الأستوديو.

ومنذ الأيام الأولى لتلك اللقاءات شدت انتباھي بصفة خاصة شخصية فناننا الكبير حسن عطية والذي كانوا ينادونه بأمير العود، واستمعت لهذا اللقب لأول مرة من زملائه الفنانين والموسيقيين قبل أن أستمع له من المعجبين.. ولاحظت بأن هذا اللقب قد صادف أهله بالفعل وذلك ليس فقط لإجادته العزف على آلة العود بل أيضاً لأناقته واهتمامه بهندامه إلى أبعد حد، وإلى حديثه وإختيار ألفاظه بعناية ودقة.. كما شد انتباھي أيضاً خفة دمه من ناحية وقوفاته اللطيفة مع أصدقائه ومحدثيه من جهة أخرى.

وهكذا وخلال فترة تواجد الفنان حسن عطية بينما مع زملائه من كبار الفنانين والتي تعدت أكثر من شهر كنا لا نفترق إلا لسيورات قليلة كل يوم بحكم العمل... وكثيراً ما جمعتنا سهرات فنية بحضور زملائه الفنانين وكان دائمًا كعادته متألقاً في أحاديثه ومشاركاته بالغناء.

وعاد أمير العود بعد ذلك إلى السودان وسافرت أنا من بعده وأول مرة في مهمة إذاعية إلى الخرطوم وكانت بالنسبة لي أول زيارة للعاصمة المثلثة وكان ذلك بالتحديد في أبريل من عام ١٩٥٦م وبعد استقلال السودان بأربعة أشهر بال تماماً... وفجور وصولي إلى مقر العمل في مكتب الإذاعة المصرية الملحق بالسفارة في حى المقرن كان الفنان حسن عطية من أوائل الفنانين الذين بادروا بالترحيب بي وبعد اتصال تليفوني حضر أمير العود بنفسه ومعه الفنان الكبير إبراهيم الكاشف وأذكر أننا كنا في شهر رمضان من ذلك العام وأصر على دعوتي ومن معى بالمكتب على تناول طعام الإفطار بمنزله فكان أول منزل أدخله في الخرطوم وهو منزل الفنان الكبير حسن عطية والذي كان يجاور منزل الفنان إبراهيم الكاشف في نفس الجى "الخرطوم" وأذكر إنه بعد أن تناولنا طعام الإفطار بدأت السهرة ولم يتزد أبو عطية ومعه الكاشف في تقديم أحلى ما عندهم من أغانيات وكان معى جهاز التسجيل وكانت سعادتى كبيرة بتسجيل تلك السهرة الفنية الممتعة والتي كانت بمثابة أول تسجيلات فنية أجريها في العاصمة المثلثة.

وتواترت بعد ذلك اللقاءات في نفس الزيارة والزيارات التالية والتي استمرت سنوات طويلة حتى تعدد عشرات المرات بدون مبالغة. وفي كل مرة كان أبو عطية يحرص على أن يكون أول المرحبي بي ويبداً في ترتيب

اللقاءات الفنية معه ومع زملائه وكثيراً ما كانت تتم جلساتنا الفنية في منزله القديم بجوار كوبرى الحيرية أو خارج المنزل مع العديد من الأصدقاء والزملاء.. هذا بالطبع إلى جانب لقاءاتنا العديدة على إمتداد تلك السنوات خارج السودان سواء أثناء تردداته على القاهرة أثناء اللقاءات التي تمت بيننا خارج الوادى وبالذات في منطقة الخليج حيث التقينا في أبو ظبى أكثر من مرة.. وفي كل لقاء كنت أحرص على أن أجري مع أمير العود تسجيل جديد نستعيد معاً من خلاله آخر الأخبار الفنية بالنسبة له وزملائه أيضاً.

وعندما عدت إلى القاهرة بصفة نهائية بعد خمس سنوات إعارة في أبو ظبى وتواصلت سفرياتي بعد ذلك بصفة دورية وسنويًا إلى الخرطوم تواصلت اللقاءات بيننا بالطبع وتنوعت السهرات الفنية بحضور أبو عطيه وبترتيبه أيضًا ولعل من أشهرها ما تم في منزله في أوائل الثمانينات حيث حضر تلك السهرة الشاعر السودانى الكبير حسين عثمان منصور ومن الفنانين عبد العزيز محمد داود والفنان سيد خليفة بالإضافة إلى الموسيقار برعى محمد دفع الله رحمة الله عليهم جميعاً.. وبعد ذلك وفي نفس المكان حيث يقيم أمير العود استطاع أبو عطيه أن يجمع في منزله أكبر عدد من الفنانين المعروفين وحرص أن أحضرها وأكون ضيف شرف قبل عودته إلى القاهرة وكانت حريصاً بالطبع على تسجيل تلك السهرة وكل ما تردد خلالها من أغاني وأحاديث فنية..

ومضت الأيام وتواترت الأعوام وحضر أمير العود في آخر زيارة له إلى القاهرة وكان ذلك قبل رحيله بشهور قليلة وأذكر بأنه كان يقيم خلال تلك الزيارة

حيث كان الزمان أكتوبر ١٩٦٩ م والمكان القاهرة حيث التقينا مع الفنان الكبير حسن عطية "أمير العود" وكان قد حضر مع زملائه الفنانين إلى جانب بعض العازفين للمشاركة في تسجيل أغانيات جديدة لإذاعة ركن السودان خلال تلك الفترة، وكان من الطبيعي أن نقوم بزيارة الفنان الكبير في محل إقامته بالقاهرة ونسجل له حلقة في برنامج "حبابك عشرة" وأثناء التسجيل طلبنا منه أن يحكى لنا جانباً من مشواره الفني في مجال الغناء.. كيف كانت البداية وذكرياته خلال تلك الفترة.. وصولاً إلى تسميته "بأمير العود" وبعد الانتهاء من التسجيل دار بيننا حوار طويل حول مشواره الفني وكفاحه ومعاناته حتى وصل إلى هذه المكانة وسط زملائه من جيل العمالة وطرق الحديث بعد ذلك إلى سؤال آخر وهو: لماذا يا أستاذ حسن لم تكتب ذكرياتك وتحكي مشوارك الفني حتى الآن حتى يكون تاريخاً لمسيرتك الفنية ويا ريت لو فكرت في تسجيله للإذاعة وتقديمه من خلاله إلى جمهورك الكبير فأجاب الفنان الكبير أبو عطية بالترحيب بال فكرة وعلى الفور أخذت منه موعداً للقاء قريباً والبدء في تسجيل الحلقات.. وفي اليوم التالي مباشرةً كان موعدنا لنبدأ معاً تسجيل الحلقات والتي سنستعيد لها كامنة معاً مع سطور هذا الكتاب.. وقبل ذلك نتوقف معاً لأسطر لكم جانباً من مشوار هذا الفنان الكبير وما استطعت أن استخلصه من التسجيلات الجديدة التي أجريناها معاً خلال مشواره الفني بالإضافة إلى بعض ما جاء على لسانه خلال سرد هذه لقصة حياته..

مع زوج شقيقته بشقتها في حي العجوزة وأذكر أنه حرص على أن يتصل بي تليفونيا فور وصوله وكان اللقاء بيننا في نفس اليوم ولما ذلت أعيش انطباعي عن هذا اللقاء فقد كان أمير العود على غير عادته حيث ظهر عليه المرض بشكل واضح وأذكر أنني سجلت معه حلقة في برنامج حبابك عشرة وبالكاد أكمل الحديث معى وحرص على أن يسجل بصوته تحية للمستمعين ووعد بتسجيل أحدث أغانياته في زيارة قادمة ولكن القدر لم يسعف الفنان الكبير وبعد أيام قليلة من عودته إلى السودان كان نبأ رحيل الفنان الكبير حسن عطية..

وبعد رحيل فناننا الكبير أمير العود حسن عطية وجدت من حقه على بعد طول هذه السنوات أن أرد إليه بعض ما قدمه لي من حب وتقدير إلى جانب وقوفه إلى جانبي وحرصه الدائم على أن يزودي بكل ما هو جديد بالنسبة له وبالنسبة لزملائه باستمرار.. ومن هنا كان على أولاً أن استعيد الذكريات من خلال عشرات التسجيلات التي جمعتنا معاً سواء في السودان أو خارج السودان كما حرصت أن أستمع لصوته أكثر من مرة وهو يروي ذكرياته مع الغناء خلال مشواره والذي خص به إذاعة ركن السودان في ذلك الوقت.. هذا بالإضافة إلى استعادتي لسطور كتابه الذي أهداه لي والذي يحمل عنوان "مذكرات حسن عطية بقلمه" وبعد أن عدت إلى هذه المصادر الفنية والموثقة أكثر من مرة سألت الله أن يعينني في أن أبدأ في كتابة ما استطيع جمعه من معلومات فنية عن هذا الفنان الكبير مع ما سجله لنا بصوته وأذيع أكثر من مرة على موجات إذاعة ركن السودان وكان بعنوان: "أمير العود يتذكر" واستعيد الذاكرة مع هذا التسجيل النادر..

النّشأة وبداية المشوار

إسمه بالكامل حسن محمد عطيه الريح، من مواليد حى المراسلات بالخرطوم إلا أن جذوره العائلية تعود إلى قرية "عد الغاشي" من أعمال مدينة رفاعة، وقد أتاحت مولده ونشأته في حى المراسلات أن يتربّع وسط الأفندية والتجار والحاليات الأجنبية، وفي نفس الحي كان يسكن الشيخ سليمان عبد الرحمن وهو والد الفنان حسن سليمان الهاوي" وعبد القادر سليمان عازف العود ونديم خليل فرح وهو الذي علم حسن عطيه العزف على العود.

وعندما شب حسن عطيه قليلاً التحق بخلوة الشيخ محمد الحنفى القربي من الحي، وعندما بلغ سن المدرسة الحقة والده بالمدرسة الإنجيلية والتي تخرج منها بشهادة ثانية إبتدائى، وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره تعلم العزف على العود والغناء في الجلسات الخاصة وبعض حفلات الحي، وخلال هذه المرحلة التحق حسن عطيه طالباً بمعهد التحاليل الطبية وهكذا وجد أبو عطيه نفسه موظفاً في الميري وقد واصل العمل بالمستشفى بهمة ونشاط قرر بعدها أن يزيد خبراته فطلب نقله إلى بعض مناطق السودان على سبيل التطوع، وقد وافقت الإدارة على طلبه واختار العمل في سنار نظراً لوجود بعض الأصدقاء هناك وكان من بينهم الدكتور عبد الحليم محمد والدكتور محمود على حمدى وهما من محبي الشعر والغناء وبعد سنار انتقل أبو عطيه إلى سنجرة قبل العودة إلى الخرطوم. وعندما تم افتتاح إذاعة أمدرمان ١٩٤٠ تم الاتصال بالمعنى الشاب حسن عطيه الذي داعته شهرته كفنان

مجدداً وتم إقناع أسرته للسماع له بالغناء في الإذاعة ولكن المشكلة هي في نشوب نزاع حاد بين أهل الإعلام وأهل الطب، وتم التوصل في النهاية لاتفاق يرضي الأطراف وفحواه أن يواصل حسن عطيه عمله وفي نفس الوقت يمكنه أن يغني هاويا في الإذاعة، وهكذا غنى حسن لأول مرة بالإذاعة ثلاثة أغانيات دفعة واحدة وهي "أنا سهران يا ليل" "وخداري" "وهات لينا صباح" والأغانيات الثلاث من كلمات الشاعر عبد الرحمن الريح. ويقول الفنان حسن عطيه في ذكرياته أنه بعد أن غنى تلك الأغانيات وما أن خرج من باب الإذاعة ورأى الناس الذين كانوا يستمعون إليه حول ميدان البوسطة - حيث كانت الإذاعة - حملوه على الأعنق وتحدىت المدينة كلها عنه وخرجت الصحف في صباح اليوم التالي وهي تشيد بالفنان الشاب صاحب اللونية الجديدة والصوت الدافي.

واستمر أبو علي في الغناء إلى أن انقطع فجأة عن الغناء في الإذاعة وذلك لسفره في مأمورية إلى مدينة الدويم لمكافحة بعض الأمراض وهناك اندمج في حياة مجموعة من الأصدقاء ممن يعشقون الفن ويبدو أن حياة الطرب والسرور قد راقت له فقرر الاستقالة من العمل الحكومي والتفرغ للفن وهكذا دخل حسن عطيه دنيا الطرب والفن من أوسع أبوابها عبر الإذاعة والمسرح وبيوت الأفراح..

والفنان حسن عطيه يعتبر من العلامات المضيئة في تاريخ الغناء السوداني حيث كان له دور بارز وكبير لا ينكر وكان أبو علي عازفاً ماهرًا على العود رغم أنه لم يدرس العود دراسة أكاديمية بل ساعدته الفطرة والهواية والمتابر والمران المتواصل على تعلم العزف على العود وكان ذلك كله

على يد عبد القادر سليمان شقيق الفنان حسن سليمان "الهاوى" وكان لعزف أبو على على العود مذاق خاص يجسد بصورة واضحة خصوصية اللحن الخامسى السودانى، فإذا أضفنا إلى ذلك عذوبة الصوت وأسلوبه فى التنغيم لبان لنا أصالة الفن وعمق الخصوصية السودانية وقد لقب أبو على بأمير العود لهذه الأسباب حتى أن الشاعر خضر حسن سعد فى يحيا الحب ذكر الأمير وعوده فى إحدى الأبيات:

ياللا المقرن نساهر نطرب بين الأزاهر

الأمير عوده ساهر محى الفن صيتو ظاهر

وقد اشتهر الفنان حسن عطيه بأنه فنان الصفوه والمجتمع المحملى وقد كان صالونه قبلة للأدباء والمفكرين والسياسيين ولعل من أبرزهم السيد: محمد محجوب الذى كان له الفضل الأول فى تقديم أبو على إلى رواد ندوته الخاصة وقد أهدى المحجوب لأبو على القصيدة الرائعة "فيردونا"

أو القمر الأخضر والتى يقول مطلعها:

لحن يملأ النفس شجونا غنى من لحنك العذب الحنونا

يانعا غضا على مر السنينا وأذكري البدر على خضر الربا

ولا شك أن جلسات الفن الخاصة قد انعكست على أبداع أبو على مما جعله غير مثال كثيرا للغناء أمام الجماهير في الحفلات العامة وبيوت الأفراح وقد أتاح السفر إلى الخارج فرصة كبيرة لحسن عطيه للتعرف على أنغام وإيقاعات الشعوب وألحانها.. فلأول مرة في السودان أدخلت إيقاعات جديدة على اللحن السوداني مثل "الفالس" و "التانجو" و "المامبو" و "الرمبا" وغيرها.. ولعل المستمع لأغنيات الفنان الكبير حسن عطيه لا يخطئ في التعرف على

نوع إيقاعاته ومع هذا فلم ينسى أبو على إيقاعات البلد الأصلية "أنتم تم" و "الدليب" وغيرها وقدم أبو على جميع الألوان الغنائية على مدى مشواره الحافل بالعطاء، فقد غنى كثيراً للوطن وجماله من خلال : في الفؤاد ترعاه العناية بين ضلوعي الوطن العزيز ثم أبدع في أغنية الخرطوم، ولولا الخرطوم لما ظهرت بعدها أغنية "أنا أمدرمان" ولم ينسى أبو على أن يتغنى للجنوب من كلمات مرضي محمد خير والتي يقول فيها:

حفة شوق وطروب كلما قيل الجنوب

جنة الخلد قطوف وزهور وطيب

وغنى أبو على أيضاً لفتاة الوطن فعالج كلمات الشاعر وأداتها بصوت رخيم والكلمات للشاعر حسين عثمان مصour والتي يقول في مطلعها.

هبي يا سعاد وأنت يا ثريا نعلن الجهاد ونشدد الحرية

وهكذا قدم أبو على في رحلته الحافلة بالعطاء من أجل الفن ما يربو على ٢٤٠ عملاً ما بين أغنية وطنية وعاطفية ووصفية رحم الله أبو عطيه بقدر ما أعطى من فن سيظل خير شاهد على انتقامه لفننه.

وبعد هذه السياحة السريعة في مشوار فناننا الكبير أمير العهد الفنان حسن عطيه ندعوكم لستعيد معه الذكريات التي سجلها لنا وأذيعت على موجات إذاعة ركن السودان أكثر من مرة وكان ذلك مع أوائل السبعينيات من القرن

الماضي.



الذكريات والمناسبة

* الزمان أكتوبر من عام ١٩٦٩ م والمكان القاهرة حيث التقينا مع الفنان السوداني الكبير حسن عطيه "أمير العود" وكان قد حضر مع بعض زملائه من الفنانين والعازفين للمشاركة في تسجيل أغانيات جديدة "لإذاعة ركن السودان" خلال تلك الفترة وكان من الطبيعي أن نقوم بزيارة الفنان الكبير في محل إقامته ونسجل له حلقة من برنامج "حبابك عشرة".

كيف جاءت الفكرة من تسجيل الذكريات!

وأثناء التسجيل طلبنا منه أن يحكى لنا جانباً من مشواره الفني في مجال الغناء.. كيف كانت البداية وذكرياته خلال تلك الفترة وصولاً إلى تسميته بأمير العود. وبعد الانتهاء من التسجيل دار بيننا حوار طويل حول مشواره الفني وكفاحه ومعاناته حتى وصل إلى هذه المكانة وسط زملائه من جيل العمالقة وتطرق الحديث بعد ذلك إلى سؤال آخر وهو: لماذا يا أستاذ حسن لم تكتب ذكرياتك وتحكي مشوارك الفني حتى الآن حتى يكون تاريخاً لمسيرتك الفنية وباريت لو فكتور في تسجيله للإذاعة ونقدمك من خلاله إلى جمهورك الكبير؟ فأجاب الفنان الكبير أبو عطيه بالترحاب وعلى الفور أخذت منه موعداً للقاء قريب والبدء في تسجيل الحلقات وفي اليوم التالي مباشرةً كان موعدنا لنبدأ معاً تسجيل الحلقات وهذا نحن نستعيد معاً ما سجله بنفسه للإذاعة ولنبدأ بالحلقة الأولى وفيها يقدم نفسه للمستمعين..

يقول الفنان الكبير حسن عطيه في بداية حديثه:

أرجو مقدماً وقبل كل شيء قبول عذرٍ إذا حصل أثناء السرد ونسبيت أسم من الأسماء التي سأذكرها أو نسبت مكاناً معيناً أو واقعة معينة لم أتطرق إليها بالتفصيل وده طبعاً راجع لمسألة الزمن بعيد.. وأرجو مقدماً من أصدقائي وزملائي في تلك الفترة قبول عذرٍ عذرٍ عذرٍ فنان محظوظ قد لا تسعفه الذاكرة لتدارك كل هذه الأحداث التي ستعرض لها أثناء سرد الذكريات..

وبدأ أمير العود يقدم نفسه بعد هذه المقدمة فقال:
أسمى بالكامل حسن محمد عطيه وأسم الشهرة كما هو معروف حسن عطيه..
من مواليد الخرطوم عام ١٩٢١ م والخرطوم في الوقت ذاك كانت مقسمة
إلى أربعة أقسام كبيرة كل قسم فيها يسمى مربع وأنا ولدت في حي يسمى
"حي المراسلات" ومكانه الآن نادي الجمال المعروف.. نشأت في هذا
الحي مع مجموعة من أولاد حلتني أذكري منهم الفنان حسن سليمان المعروف
بلقب "الهاوى" وكان معاناً كمان الدكتور النور عبد المجيد رئيس القيمين
الطبى في السودان والشاعر عبد المنعم عبد الحى اللي كتب لي بعد ذلك
عدد كبير من قصائدى واللى ساهم معاى في انتاجي الغزير.. وغير هذه
الأسماء ناس كثيرين بعضهم ما زال موجوداً والبعض الآخر أنتقل إلى رحمة
الله وضروري حتجى سيرتهم في حديثنا خلال الحلقات القادمة بأذن الله.
المهم كان جاري في نفس الحلة على طول عبد القادر سليمان وهو شقيق
صديقى وزميلي وأخى حسن سليمان وكان عبد القادر من أصحاب المرحوم
الفنان خليل فرح وكان الخليل معروف أنه أول من عزف العود في السودان
وعلمه بعد كده لصديقه عبد القادر سليمان.. وكانت الشلة كلها تجتمع في
منزل عبد القادر سليمان.. الخليل وأصحابه ومعاهم العود طبعاً.. وتبدأ
الونسة من بعد العشاء وتمتد السهرة حتى ساعة متأخرة وعادة كانت تطول
في ليالي الجمعة، وده عشان معظمهم كانوا موظفين وعندهم مصالح في
الصباح.. أما أنا وحسن سليمان لأننا لسه صغاري فكنا نسمع أو نسترق السمع
بالنسبة للأغاني ونطرب لسماع العود كثيراً وأنا بالذات كنت بودد معاهم وأنا
بره في الحوش مقاطع الأغانيات اللي كان بيؤديها الخليل وكنت أطرب ليها
خالص.. وكان المرحوم خليل فرح ومن معه يرسلوني أنا وحسن لشراء بعض
ال حاجيات من الدكان سجاير، حلويات أو أي حاجة ثانية وكنا نرجع نلاقيهم
بيغنو ونستمر في السمع المهم اللي كان بيغنى دايماً هو الخليل وعبد

القادر يعزف على العود وبقية الشلة كانت بتشيل معاه ومن الأصدقاء أذ كر
المرحوم حسن سكر وعبد المنعم محمود والمرحوم
عجول وكان موجود كمال مختار وفوزى دول ورمزي كيلانى وكانوا كلهم
موظفين ذى ما ذكرت المهم كان الخليل متاثر في الحانه في الوقت داك
بالفنان الكبير سيد درويش في مصر، والخليل شاف سيد درويش بالطبع لأنه
سافر مصر أكثر من مرة قبل كده، وكان دائمًا الخليل في جلساته الفنية مع
 أصحابه يتكلم عن سيد درويش وفن سيد درويش وحب سيد درويش لفنه
وأزاي كانت أغانيه تترجم صادقة لمشاعر الناس وعامة الشعب في مصر من
واقع لسان الشياليين والستقائيين والمكوجية.. أخ

وكان الخليل يحفظ الألحان دي كلها ويرددوها وعشان كده تأثر إلى حد
كبير بهذا الفن وبهذا اللون بالذات وأعتبر نفسه مسؤولاً عن الحكاية دي في
السودان فكانت أغانيه هو الآخر لها طابع شعبي وفي واقعها وطنية يعني
مغفلة بكلمات في واقعها شتيمة في الاستعمار يعني الألحان كلها كانت هادفة
من بينها أغنية مطلعها..

قوم .. قوم .. كفاك يا نايم

وهكذا استمرت الجلسات الفنية دي وأنا كل يوم أحاول أنتهز فرصة غياب
الشلة بالذات في النهار وأسرق العود اللي كان موجود دائمًا في رأس
الدولاب بتاع بعد القادر سليمان وبذكر كنت.. بجيبي الكرسي لأنى كنت
قصير وأطلع عليه عشان أحصل العود وابتدى العب في أوتاره وأعزف في
أى حاجة ويرجع بعد كده بعد القادر سليمان فيلاقي العود ملختط بالطبع
فكان يندهش إلى أن أكتشف في يوم الحكاية وشاف على وشى اللحمة
شووية فقال لي إيه الحكاية يا حسن هو فيه حد بيلعب في العود ده؟ فقلت
ليه إيوه.. أنا كنت بعزف عليه فضحك بالطبع وقال : بلاش أحسن تكسره..

وفاقت الأيام بعد كده لغاية ما جاء يوم جمعه وكان فيه جلسة نهارية يعني الكل كان موجود وبيتونسوا في الصباح وأنا وحسن سليمان كنا بنخدم الشلة كلها.. وأذكر في اليوم ده بالذات كنت بسلى نفسى وأدندن بلحن من ألحان الخليل ويظهر أنـه صوتـي كان عالـى شوـية لأنـه الخلـيل سـمعـنى وـقال لأصحابـه: الله صـوتـ الوـادـه كـويـسـ هـاتـوه هـنا عـشـانـ نـسـمـعـه.. وبـعـدـ شـوـيةـ خـرـجـ عبدـ القـادـرـ سـليمـانـ منـ جـوـهـ وـنـادـانـيـ فـأـنـاـ فـيـ الـحـقـيقـةـ كـنـتـ خـايـفـ خـالـصـ لأنـيـ شـعـرـتـ بـامـتحـانـ صـعـبـ أـمـامـ عـمـلـاقـ الفـنـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ وأـذـكـرـ أـنـيـ وـقـفتـ أـمـامـهـ وـأـعـصـابـيـ مـتـوـرـةـ فـطـبـطـبـ عـلـىـ يـاـيـدـهـ وـقـالـ لـىـ قـولـ يـاـأـبـوـعـلـىـ..ـ وهـنـاـ تـدـخـلـ عـبـدـ القـادـرـ سـليمـانـ وـقـالـ: لاـ إـيـهـ كـمـانـ يـاـ خـلـيلـ دـهـ أـتـضـحـ أـنـهـ بـيـسـرـقـ العـودـ مـنـ وـرـاـنـاـ وـيـعـزـفـ عـلـيـهـ..ـ فـضـحـكـ خـلـيلـ وـمـعـهـ الجـمـيعـ بـالـطـبـعـ..ـ وـنـرـجـعـ ثـانـىـ لـجـلـسـاتـنـاـ وـكـانـتـ بـتـكـرـرـ كـلـ يـوـمـ أـنـاـ وـحـسـنـ سـليمـانـ نـعـقدـ فـيـ الـحـوشـ قـرـيبـيـنـ جـداـ مـنـ الـمـكـانـ الـلـىـ مـوـجـودـيـنـ فـيـ كـلـهـمـ وـنـسـمـعـ وـنـحاـولـ نـحـفـظـ وـهـكـذاـ مـرـتـ الـأـيـامـ وـفـىـ كـلـ يـوـمـ أـضـيـفـ أـلـحـانـاـ وـأـلـحـانـ لـدـرـجـةـ أـنـيـ وـجـدـتـ لـدـىـ حـصـيـلـةـ مـشـ بـطـالـةـ مـنـ الـأـغـانـىـ الـلـىـ مـاـ زـلـتـ أـذـكـرـهـاـ لـلـمـرـحـومـ الـخـلـيلـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ وـالـلـىـ كـنـتـ بـسـمـعـهـ تـقـرـيـبـاـ فـيـ كـلـ لـيـلـةـ مـثـلـ الـأـغـنـيـةـ الـلـىـ بـتـقـولـ "ـيـفـضـحـ الـبـدـرـىـ"ـ

وـفـىـ لـيـلـةـ مـنـ هـذـهـ الـلـيـالـىـ وـأـنـاـ رـاجـعـ الـبـيـتـ وـجـدـتـ الشـلـةـ كـلـهـ مـجـتمـعـةـ فـقـلتـ لـنـفـسـيـ لـيـهـ أـنـاـ مـاـ أـغـنـىـ أـمـامـ خـلـيلـ..ـ وـلـيـهـ أـنـاـ كـنـتـ خـايـفـ الـمـرـةـ الـلـىـ فـاقـتـ لـمـاـ سـأـلـنـىـ أـنـ أـغـنـىـ..ـ وـهـنـاـ طـلـبـتـ أـنـاـ بـنـفـسـيـ أـنـ أـقـدـمـ وـاحـدـةـ مـنـ أـشـهـرـ أـغـنـيـاتـ خـلـيلـ وـهـىـ التـىـ كـانـتـ يـؤـديـهـاـ فـيـ كـلـ لـيـلـةـ زـىـ مـاـ قـلـتـ قـبـلـ كـدـهـ فـكـانـتـ أـغـنـيـةـ "ـيـفـضـحـ الـبـدـرـىـ"ـ.

ترديدي للأناشيد المدرسية scl جبال صوتي وهيأني للغناء

أما حكاياتي مع بداية دخول الخلوة فقد كانت هذه الخلوة في الخرطوم وكان صاحبها هو الشيخ محمد باكير وهو مقرئ إلى الآن بإذاعة أمدرمان وممكن نقول بأن الخلوة ما هي إلا نظام الكتاب المعروف في الجمهورية العربية المتحدة "جمهورية مصر العربية" بعدها ينتقل الطالب إلى خلوة أكبر شوية من ناحية الفصول والدراسة فلما انتقلت إلى خلوتين كبيرتين واحدة بتاعة الشيخ الكنتري وده كان نوبيا من شمال السودان وقضيت فيها فترة من الزمن وبعدها نقلت إلى مدرسة النجاح وهي عبارة عن خلوة شبيهة بالكتاب أيضا تؤهل الطالب حتى يدخل كتاب الحكومة الرسمي..

في عام ١٩٢٨م تقدمت أنا وأخي حسن سليمان إلى كتاب الخرطوم الوسطى الحكومي وفي امتحان القبول قبل الآخر حسن سليمان وأنا لم أقبل لصغر سني وعدم تأهلني لدخول الامتحان فقضيت السنة بمدرسة النجاح وتقدمت السنة التالية ١٩٢٩م للكتاب الحكومي ودخلت بالفعل.. ومن هنا أحب أقول أنى لما دخلت الكتاب كنت خائفاً ومتهيباً بالمدرسة ذي أى طفل صغير وجديد وكان زملائي في الكتاب هم نفسهم اللي ذكرتهم وأولهم عبد المنعم عبد الحى وحسن سليمان ومحى الدين تلب ومحمد يوسف على وأحمد أمام وبقية الأخوة المصريين اللي ما ذكر أسمائهم لأنهم طلعوا من السودان بدرى..

كنت أمارس أيضا هوايتي الفنية عن طريق حفظ الأناشيد المقررة علينا ومحاولاتي البدائية في ذلك الحين بخصوص تلحينها وطبعا كانت ألحانا بدائية على قدر حالى في ذلك الوقت ومن الأناشيد المحفوظة في تلك الفترة "طاب سعى بالأمل لست أدرى بالكسيل" وبدأت ألحنها وأغنيها في مناسبات المدرسة زي يوم الأباء وأحتفالات رأس السنة والتخرج ..

وكثيرا ما كنا نشارك في رحلات المدرسة ويطلب مني المدرسوں أن أتقدم بالمجموعة وأبدأ في إلقاء الأناشيد المنغمة وهم يستمعوا لي وكلهم كانوا يرددون من ورائي .. وأعتقد كل هذا التجاوب أفادني في الأداء بعد ذلك وأكتسب صوتي منذ الصغر تحملأ غير عادي أفادني في تلحين وأداء الأغانيات الطويلة بعد ذلك .. ومن نشاط المدرسة وممارستي إلقاء الأناشيد وسط زملائي اتسعت شهرتى إلى الحى كله بل امتدت هذه الشهرة إلى أحياء أخرى قريبة منا وأحسست رغم صغر سني بأن فيه ناس بتنادينى وأنا ماشى المدرسة ويقولوا لي عايزين نسمعك يا أبو على وأنا أضحك وفي نفس الوقت أمنى نفسي بأمنيات كنت بحلم بيها .. بعد كده بدأ أفكرا وأقول : ليه ما يكونش ليه عود برأى .. حفضل أسرق العود من عبد القادر لمتين !

وتصادف في تلك الأيام أن وصل الخرطوم من لندن الأخ عبد الوهاب حمدى شقيق المرحوم محمود على حمدى بعد فترة دراسية في هندسة الميكانيكا بلندن وإلى جانب دراسة الهندسة كان بيدرس كمان وأحضر معه فعلا كمنجة لطيفة خالص من نوع راق وكان في الوقت ده ذى ما قلت قبل كده أخوه عبد الكريم وصديقه في نفس الوقت كان بيعزف على الكمان

فطلب الدكتور محمود حمدي من عبد الوهاب حمدى أن يعطي الكمان
لعبد الكريم حتى يسمعنا نغم سوداني فرفض بحجة أن الكمان جديدة
وخياف عليها من التلف فأصر الدكتور محمود حمدي أن يرسل إلى لندن
لإحضار كمنجة لعبد الكريم حتى يؤدي الألحان المطلوبة ويتدرّب عليها
وكما يريد وفي نفس الوقت طلب من أصدقائه في القاهرة أحضار عود لي
أنا أيضا حتى أصحاب عبد الكريم في الغرف وأحياء مثل هذه الجلسات
الفنية.. وبالفعل بدأ عبد الكريم حمدي يختار بنفسه ألة الكمان اللي تتجه
من الكتالوج والكتالوج ده كان زمان في أيام الاستعمار ويحتوى على
نوعيات كثيرة من الأغراض من ملبوسات وأقمشة وأحدية وقمصان وشرابات
إلى جانب الآلات الموسيقية بنوعياتها المختلفة والجميل أن كل هذه
المعروضات كانت بألوانها الطبيعية وتحتها السعر والمقاس وما على المشتري
إلا أن يحدد الشئ المطلوب ومواصفاته ويرسل على عنوان المحل وينتظر
أياما قليلة ويصله المطلوب.. المهم الشئ الطريف اللي أحب أقوله أن
الكمان في ذلك الوقت كان ثمنه ١٠٥ قرش استرليني ودى طلبها الدكتور
محمود عبد الكريم وكانت من أعظم الانواع أما العود بتاعى أنا فأخضر من
مصر من جميل جورج بشاعر محمد على والموجود حاليا في نفس المكان
 وبالطبع لا أذكر ثمنه لأنه جانى هدية..

تصادف في نفس الوقت أن أعلن الدكتور محمود حمدي خطوبته على
إحدى قريباته وحدد يوم الخطوبة وزعـت الدعـوات وأخذـنا أنا وعبد
الكرميـم حمـدي لإحياء هـذه الحـفلـة ضـمن بعض الفـنانـين الـهـواة فـمن
أـصدـقـائـه.. وبالـفعـل حـضـرـنا فـي يومـ الحـفلـة وـكـان يـحـضـرـه مجـمـوعـة كـبـيرـة مـن

عليه القوم في ذلك الوقت رجال ونساء كان الرجال في حوش لوحدهم والنساء في حوش آخر لوحدهم وغير بعيد عن حوش الرجال بحيث يستطيع منه متابعة الحفل ونسبة لأن الأنجلزيز كانوا في البلد وعندهم بروتوكول معين في الحفلات كان السودانيين يتبعون نفس البروتوكول اللي هو كان الحضور بالنسبة للرجال بالبدلة السوداء الأسموكن والنساء بالتيجان البيضة أما أنا وعبد الكريم حمدي فكنا نرتدي العلابية الحرير البيضاء والعمة طبعا..

وهكذا انتظم الحفل وببدأ الفنانون المصريون من أصدقاء الدكتور حمدي اللي كانوا موجودين في الخرطوم في تقديم وصلاتهم وأذكر منهم عبد الله حسني السوداني وهو مصرى سودانى ولكنه كان يغني أغانى مصرية وهو الأخ الأكبر للأستاذ عز الدين على عامر وبعد ما قدموا حفلاتهم قدمونا نحن في آخر الحفلة وببدأنا نغنى بدون مزاج من شدة النعاس ولكن بعد ما بدأنا في الغناء وقابلونا بالتصفيق الحاد بدأنا نصحص ونسجم مع الألحان وقدمنا أول وأحسن فاصل غنائى في حياتنا أمام الجمهور ونجحت الحفلة بأغانينا أنا وعبد الكريم نجاحاً منقطع النظير.. ومن الأغاني التي قدمناها في الحفل أغاني الخليج الوضفية إلى جانب بعض الأغانى الوطنية وكانت من بينها الأغنية اللي بنقول:

شوف شوف هواك يا نايم	قوم قوم كفاك يا نايم
تحن الكل شباب النيل	مجدى ضل وشرفك ولى
ما فيش تانى مصرى سودانى	تحن الكل ولاد النيل
وأنت شنو !! طفيلي دخبل	

على يدى بدأ أحمد المصطفى
تعلم الغزف على آلة العود

* أن بعض الذين حضروا الحفل كانوا في أجازات ووصلوا من عدة مناطق من مديريات السودان المختلفة واستمعوا إلى ساكنهم في الحفلة وبعد رجعوا إلى مناطقهم بعد كذا يوم من حفلة العرس وهي في أحلى حالاتهم من الليلة العظيمة التي حضروها في فرح الدكتور محمود حمدى فكان من الطبيعي أن يعملوا لينا دعاء كبيرة جداً في الخرطوم حيث ظهر هناك اثنين من الأطفال يعتبروا معجزة في فن الغناء: حسن وعبد الكريم واحد منهم يضرب عود ويفنى والأخر على الكمان وعملوا سهرة للدكتور محمود حمدى وكانت عظيمة وناجحة جداً وكلام من النوع ده اللي بيه عملوا لينا دعاء خارج العاصمة.

وبالطريقة دي اتسعت شهرتنا في مديريات السودان عامة وبدأ الناس بعد كده يعرفونا بشكل أوسع شوية يعني فات نطاق الحلة وحضرنا في حفلات الختان بعد ذلك اللي هي حفلات الع فهو.. والظهور عندنا في الخرطوم في الوقت داك كان الواحد يظهر أبنته أو بنته يعمل ليه حفلات غنائية تصل إلى خمسة أو ست حفلات تشارك فيها نساء الحي ذوات الأصوات الجميلة واللائي يجدن الرقيق ومعاهن المطربين من الهواة فتحنن غزينا السوق ده بالطريقة الفنية الحديثة وأتسعت شهرتنا بعد ذلك وأصبحت أسبوع كل ليلة في بيت من البيوت في الحلة وخارجها.. والسبب الذي دعا والدى إلى التبرّم والزعّل من سهرى وتأخرى لا من ناحية حبى للفن، فالحقيقة الوالد من حقه على هنا أن أسجل له احترامه لى ولغنى ولرغبتى في الاستزادة بل

هو كان مبسوط جداً لما يسمع لى وكان يسمعني دايماً ويشجعني في نفس الوقت.. ولكن كان لا يحب أن يشغلني العود عن مواصلة دراستي وبعد كده سمعنا أنه ظهر فنان في مدنه يدعى إبراهيم الكاشف ومعه شاعر يدعى بابكر السلاوي وشاعر آخر يدعى على المساح فكنت أتمنى أن أرى هذا الفنان وربنا حقق الأمنية فعلاً فبعد فترة وصل الفنان إبراهيم الكاشف إلى الخرطوم وكانت عنده نفس الرغبة أنه يقابلني أنا أيضاً في الخرطوم وأتصل بي فعلاً وبالأخ عبد الكريم حمدي وبالأخ حسن سليمان وفكتنا في أن نعمل وحدة متكاملة لنظهر فيها الفن السوداني الحديث لكن وفدت أمام إبراهيم الكاشف عقبة وهي أنه كان يجب أن يعزف العود وبدأتنا فعلاً في محاولة تدريبه على آلة العود ولكنه فشل في دراسة هذه الآلة الغربية عليه - وأثناء وجوده في أمدرمان وجد شخصين من أبناء الحي الذي كان يسكنه الكاشف في أمدرمان أحدهما هو عوض فضل الله والآخر محمد حجازي وكان عوض وحجازي يعزفان على الكمان فأتفق معهما على أن يتدرجاً معاً على أغانيه وفعلاً تم تدريبيهما.. وببدأ الكاشف يظهر معهما في الحفلات التي اشتراك فيها فيما بعد.. وبعد ذلك اتفقا كلنا أنا وإبراهيم وعبد الكريم وعوض وحجازي عشان نعمل أوركسترا موحد وفعلاً استمرينا مع بعض فترة طويلة من الزمن سنتعرض ليها فيما بعد بالتفصيل أثناء الكلام عن نشاطنا في الإذاعة وفي نفس الوقت وصل الخرطوم أيضاً الفنان الزميل أحمد المصطفى قادماً من الدبيبة من ضواحي الخرطوم.. وكان قد التحق للعمل بشركة عبد المنعم بالخرطوم.. وأتصل بي أحمد فور وصوله للتعرف عليه وشعرت بأن له رغبة في أن يتعلم العود وكان أحمد المصطفى في ذلك

الوقت لا يعزف إلا على الصفاره وهي المعروفة بـ "الزنباردة" عند أبناء الباادية وكان قد تعلمها مع أطفال القرية وهي من عيدان القصب.. المهم أحمد سمع بحكاية العود وطلب مني أعلمه وبالفعل بدأ يتدرّب، ولما كانت عنده الوشبة الأكيدة ومع المران المستمر استطاع أحمد المصطفى أن يجيد العزف على العود في فترة بسيطة وبعدها أنيض معنا لتشكيل فرقة لها وزنها من الشباب المتطلع لتطوير الألحان باستخدام الآلات الحديثة التي كان ينظر إليها الجمهور باعجاب ودهشة في ذلك الوقت..

في نفس الوقت كان فيه مطربى الحقيقة الذى كانوا يبغون بالصفقة ويرقصوا البنات في ليالي الأفراح بشكل دائم.. وكان على رأس هؤلاء المرحوم الحاج محمد أحمد سرور والأمين برهان وعبد الكريم كرومه وغيرهم، وهنا أقف شوبه لأصف منظر هذه الفرقة الشعبية وكيف كانت تحى حفلاتها الراقصة : فقد كانت عادة بيوت الأعراس في السودان بتكون مفروشة بالعنقريب للرجال والجزء الثاني مفروش بالبروش للسيدات، يعني السيدات كانوا يجلسنوا على الأرض وده يكون فيه احترام للرجال ويتكون الأضاءة عن طريق التكلوبات أو الرقاب ذى ما يسمىها في السودان وهذا نسبة لعدم وجود التكهرباء في كل أنحاء المدينة وبيقف واحد في نصف الحلقة عشان يقوم البنات للرقص وده باسمه وزير العرس وكان يحضر المطرب عادة مثلا ذى الحاج محمد محمد سرور ويحمل عصاية كويز وهى خيرزان أصلى يحملها في إيه الشعالي ويغنى فيها ويصفق وهي في يده خوفا من أن يفاجأ بوأحمد من غير المشجعين ويستعين بها عند اللزوم وخاصة إذا فكر أحد هم أن يخلصي، الفرج ضلمه ذى ما يقولوا .. وما نسى أن الحاج سرور كان يستعمل رأسه في ضرب الروسية زيادة في استعمال العصاية وأحيانا يحدث

أن أحد المشاغبين ضد الفنان يضرب الكلوب بالعصاية ويكسرها ويخلّى
البيت ضلّمه عشان يضرب بعد كده بدون ما حد يعرفه وفعلاً تحصل المشكلة
وينتهي الفرح بتجريح الناس.. ولكن في أغلب الأحيان وبالذات لما يكونوا
المشاغبين ليهم رغبة في مشاهدة راقصة معينة يتغاضى النظر عن الشكل
والضرب وخلافه رغم العداء المستحكم بينهم وبين المطرب وفي الحالة دي
يستمر الحفل والسمور إلى الصباح..

ونقف هنا لنصف الفرح وطول مدته في الأيام دياك يستمر الفرح أربعين
يوماً والمغني ومعاه الشياليين يستمروا طوال هذه المدة يغسلوا ملابسهم
ويكونوها ليهم ويأكلوا ويسربوا كلّه في بيت العريس يعني إعاشرة كاملة طول
هذه المدة أربعين يوماً.. والعريس كان بيلبس قميص أو عراقي وسروال
طويل تكته مشغولة باليد وحريره في أيديه اليمين معها خرزة ويسموها
التعويدة.. والخرزة دي كان دائمًا يضعها في يمينه ولها غنوة دلوقت
ما زالت مشهورة بيقولوا فيها "حريرة وخرزة في يمينه" ثم توضع على رأس
العريس الضريرة وهي نوع من العطور الهندية وأعشاب معينة خليط متعارف
عليه وله رائحة نفاذة ويربط رأسه بعد كده بمنديل حرير وعلى المنديل
هلال من الذهب الخالص إشارة لمكانته وعظمته وثرائه..

وفي ليلة الحنة يضروها.. ويوضع عليها شمع بعد عمر العروسة والعريس
ووسط الحنة صحن كبير مليان لبن عشان يرشوا بيه العريس والعروس كل
منهما الآخر "بخ اللبن" وهو موضوع تفاؤل بالخير، وبعدها يفضي الصحن
من اللبن وينقطوا الحضور من النساء والرجال النقطة أو الختة، وفي الحالة
دي تغنى أحداهن أغنية العديل والزين وتستمر في هذا الأغنية وتستمر
الأخرى في تحنين العريس والعروسة..

تشجيعاً للأهداف الوطنية شاركت أحمد المصطفى
في حفلات استقطاب الجماهير لندوات شيخ الأندية بأمدرمان
قبل الاستقلال

بعد كده وعلى حسب ما أذكر ظهر مؤتمر الخريجين في عام ١٩٣٤ م تقريباً
وفي هذا المؤتمر تبلورت فكرته في أبو الأندية وهو نادي الخريجين ومقره
مدينة أمدرمان وكان يضم مثقفي العاصمة المثلثة وهو اللي خرج كل أدباء
وسياسي ذلك العصر تقريباً وكانت باكورة إنتاج هذا النادي إسماعيل
الأزهري ومبارك زروق وبخيي الفضان وأمين التوم وغيرهم كما أذكر من
بينهم أيضاً حماد توفيق وإبراهيم المحلاوي والطيب محمد خير الزعيم
والمرحوم يوسف التقى وبذلة الجميع نشاطهم ضد المستعمر .. وكان كثيراً ما
يجتمعون لقاء خطبهم السياسية وحتى تكون ناجحة ويحضرها أكبر عدد
من الجماهير كانوا يستعينون بفقرات غنائية لجذب الجمهور وعشان كده
كانوا يطلبونني أنا وأحمد المصطفى للاشتراك في الحفلات ومن جانبنا
إحنا كمواطنين كنا نقوم بالاشتراك في هذه الحفلات بالمجان تشجيعاً
للغرض المقاومة من أجله وهو العمل على طرد المستعمر وإظهار أغراضه
السيئة وتسبيه الناس إلى ضرورة السعي لحل مشاكلهم بأنفسهم وعدم
الاستسلام لدعایة الاستعمار وكان من ضمن أخواننا السياسيين والأدباء كما
ذكرت يوسف التقى وأمين التوم وهما شاعران مشهوران وكان يبدأ الحفل
عادة بالدوبت أو بالشعر القومي المعروف وهو في نفس الوقت ذو طابع
سياسي مقصود به محاربة الاستعمار.

وكان من ضمن القصائد أغنية "في الفؤاد ترعاه العناية" للمرحوم يوسف التنى وهذه الأغنية سأ تعرض لها بعد كده لأقف لحظة وأقول : كنت أنا والزميل أحمد المصطفى نرتدى الزي البريطانى للمستعمرات الأفريقية وهو عبارة عن الشورت الكاكي ومعاه القميص نفس اللون بالإضافة إلى البييرية على الرأس والسياسيين وقتها كانوا يلبسون نفس الزي.. فتصور منظري وأنا أقف على المسرح أرتدى قميص وبنطلون قصير وشراب طويل ونبيأ حفلاتنا بالآلات وفي هذه الحالة كنا نجذب أنتباه المارة إلى أن هناك ليلة سياسية في نادى الخريجين وفعلاً بعد أن تنتهي وصلتنا الغنائية الخامسة تكون الدار قد ازدحه مت بالمشاهدين والمهتمين .. وبعد كده يبدأ المحدثون في إلقاء خطبهم في نفس الوقت بيكون فيه عدد كبير من المخبرين لمراقبة سير الحفل وما يقال فيها من خطب وشعر وغناء وعادة بل كثيراً ما تحدث اعتقالات تنتهي بمشاجرات كبيرة فيذهب بعضهم إلى المعتقل والبعض الآخر بعد التزويدة إلى منازلهم ولكن الحمد لله لم يحدث لنا أي شيء لحب الجماهير لنا كفنانين محبوبين في ذلك الوقت لا لون لنا في السياسة حسب اعتقادهم وإلى هناك أقف لحظة لأن أتكلم عن الخليل موظفاً في مصلحة البروسطة كمهندس للتليفونات في بداية عمل التليفونات بالخرطوم وده يوري مدى حساسية الخليل في عمله لأن عملية التليفونات عملية خدمة عامة مركز عليها بدل من أي وظيفة كتابية أخرى.. وكان الخليل يرتدي بدلة وطربوش وكان يصطفى قلة من الأصدقاء اللي همه كما ذكرت في الأول عبد القادر سليمان وعبد المنعم محمود وفوزي حسونه ورمزي كيلاني وحسين سكر.. كان يصطفى بهم لذوقهم الفني

ولتركيزهم في الاستماع لأن الخليل كان يعيش لشعره ولحنه وفنه ومن ضمن صفاتة أيضاً واللى كان يتميز بها فعلاً إنه كان لا يبدأ الغناء في هذه الحلقة الضيقة إلا بعد منتصف الليل وأخره أى بعد أن يهوى المستمعين القلة الموجودين إلى الاستماع مضبوط وبعد أن يبدأ في الغناء حذار أن تحدث أى شوشرة أو ضوضاء لأنه إذا حدث أى نوع من هذه الأشياء سيتوقف الخليل عن الغناء ويتفرّز ومحظى تؤدي هذه الحالة إلى تخليه عن هذه الجلسة ومن ضمن خواص الخليل أيضاً أنه كان لما يتدلى الغناء يغمض عينيه وفي تغميض عينيه سرّ كامن وهو إنه يعيش بكتابه وبجميع حواسه في سرد القصيدة التي يتغنى بها وفي هذا سرّ أيضاً أنه يحس بوطنية وعمله الفني إزاء وطنه عشان كده كان لا يزيد أى تشويه أو شوشرة في هذه اللحظة الخامسة.

ونعود بعد ذلك إلى ألحان تلك الفترة وهي كانت معظمها للخليل بالنسبة للأغاني الوطنية والعربية الفصحى.. أما بالنسبة لأغاني الحقيقة أو الأغاني باللهجة الدارجة فكان من ألحان المرحوم كرومة وتقربياً كان رغم العداء المستحكم بين المرحومين سرور وكرومة في المناسبات الغنائية.. كان سرور يغني ألحان كرومه وده راجع لأن كرومه كان متخصص في ابتكار الألحان الجميلة التي أتعجب بها كل من سمعها وكان كرومه عنده طاقة كبيرة جداً في الأداء بحيث لا يشعرك أبداً من بداية غنائه إلى نهايته بأن صوته تغير لحظة واحدة، وعادة ما كانت السهرة تمتد من الساعة السابعة حتى الرابعة صباحاً.. بل بالعكس فكان كلما دخل الليل كلما زاد صوته حلاوة أكثر وأكثر وبالمناسبة كان كرومه يتفاني في فنه لدرجة أنه كان يسرّ طوال الليل ولا ينام في النهار لأنه بالنهار كان يملحق.. وللسبب ده أصيب في حلقة بمرض

خطير ولم يتسبوا إلى حالي رغم أنه كان يعاني من آلام شديدة لم تعرف أسبابها في ذلك الوقت وكان من نتيجة ذلك أن توقف عن الغناء لفترة طويلة وهزل جسمه وبدأ يبحث عن العلاج منفرداً مع مساعدات أصدقائه المعروفين، ولكن هذا لم يجد وتوفي كرومه في ريعان شبابه وبعد فوات الأوان عرفنا بعد ذلك أنه كان عنده سرطان رحمة الله عليه.. وترك كرومه وراءه الحان عديدة سجلها بصوته على أسطوانات وخلف من ورائه أيضاً مرددين حفظوا الحان الجميلة وسجلوها له اعترافاً بالجميل وتخليداً لذكراه..

ونعود مرة أخرى إلى القصائد الوطنية التي كنا نرددتها في مؤتمر الخريجين ومعظم هذه القصائد كانت من تأليف مثقفين كان في مقدمتهم المرحوم يوسف التميمي أول سفير للسودان في مصر وأشهر قصائده في هذه الفترة قصيدة وطنية أشرت إليها وهي "في الفؤاد ترعاه العناية" والتي تقول

كلماتها من المطلع:

فِي الْفَوَادِ تَرْعَاهُ الْعَنَى	بَيْنَ ضَلَوعِي الْوَطَنِ الْعَزِيزِ
لِعَدَاهُ مِسْوَى النَّكَاةِ	إِنْ هَزَلتِ بِلِمْلِمِ قَوَايَا
غَيْرِ سَلَامَتِكَ مَا عَنِّي غَايَةٌ	إِنْشَاءَ اللَّهِ تَسْلِيمٌ وَطَنِي الْعَزِيزُ
مَرَّةٌ عَيْنَيْنِ ضَبَلَانِ وَهَازِلٍ	شَقَوْا بَطْنَ الْأَسْدِ الْمَنَازِلِ
نَبَقَى حَزْمَةٌ كَفَاناً الْمَهَازِلِ	وَنَبَقَى دَرْقَةٌ وَطَنِي عَزِيزٌ
لِيَهُ مَا أَرْعَى الْوَطَنِ الْوَعَانِي	وَالدَّهَاهُ أَشْبَلَوْ وَأَعْنَانِي
الشَّابُّ وَالشَّيْبُ شَجَعَانِي	قَالُوا نَفْدِي الْوَطَنِ الْعَزِيزِ
إِلَى أَنْ يَقُولُ فِي نَهَايَةِ الْقُصِيدَةِ :	
طَبِيعِي أَعْشَقُ حَسِيدَهُ وَرَمَالَهُ	مَا بِبَيْعِهِ وَأَقُولُ مَالِي مَالُو
مَا بِكُونَ آلَهُ الْبَى حَبَالُو	دَارِي كَتْفَ وَطَنِي عَزِيزٌ

خدارى أول أغنية قدمتها في الإذاعة

بدأت إذاعة أمدرمان يوم ١٩٤٠/٤/١ وكانت عبارة عن غرفة واحدة وضيقة ٣ متر × ٣ متر فقط.. وكانت ترسل إذاعتها على مكبر صوت ينبعث من داخل الغرفة إلى ميدان البوستة الفسيح والذي كان يتجمهر فيه الجماهير للإستماع إلى أخبار الحرب في فترة من الزمان.. وكانت أخبار الحرب من داخل هذه الغرفة "الإذاعة" تتصنّع على حسب ما هم عازفون زى مثلاً ضمن الأخبار.. أغارات طائراتنا على العدو مساء أمس وأسقطت له ٤٠ طائرة وستين دبابة وقتلت ١٠٠ جندي وعادت طائرتنا بسلام.. ولما شعر المسؤولون بأن جماهير البوستة تتزايد كل يوم فكروا في أن يجعلوها إذاعة أشمل وأن يكون إرسالها داخل السودان.. وفعلاً وبسرعة ركبت الآلات اللي كانت بدائية في ذلك الوقت ولكن لحسن حظهم الإذاعة كانت مسمومة خارج السودان، وفي ذلك الوقت كانوا يرسلون برامجهم على النحو التالي : ٥ دقائق قرآن، ١٠ دقائق أخبار، وبعد فترة وجيزة وصل الحاج محمد أحمد سرور إلى العاصمة وكان يجوب بعض مدن السودان لأنه كان بيشتغل بعمل اللواري وفن الغناء في نفس الوقت فاتفق معه هيئة الإذاعة المكونة من مدير مصلحة المخابرات البريطانية ومعه نائبه وهو المستر أدوارد عطيه "سورى" وكان معهما أيضاً المرحوم الشيخ عبد النور والمرحوم العم صالح عبد القادر والأخ حسين طه زكي ودول كانوا من كبار الأدباء والملمين بفنون السياسة في ذلك الوقت..

اتفق الجميع على أن يقدم الحاج سرور أغنية لمدة ٥ دقائق كل يوم بعد الأخبار وكان هذا اليوم هو الخميس من كل أسبوع على أن تكون الأغنية سياسية تشيد بجنود الحلفاء طبعاً وتعمل الدعاية الكافية داخل البلاد فقبل المرحوم سرور فعلاً وببدأ يقدم أغنية كل يوم الخميس لمدة خمس دقائق واستمر على ذلك فترة كبيرة وكما قلت كانت الإذاعة يوماً واحداً في الأسبوع ولمدة ١٥ ق وكانت توزع كالتالي ١٠ دقائق أخبار و٥ دقائق أغنية سياسية أو حربية وظلت هكذا لمدة أربعة أشهر وفكرت الإذاعة بعد ذلك في مد بث برامجها إلى يومين في الأسبوع واليوم الثاني كان يوم الثلاثاء ولكنهم كان يفتقرؤ إلى مطرب ثان ليقوم بالغناء فقال لهم الأخ حسين طه أنا سمعت بشاب صغير بيضرب عود ويغني وممكن يقدم لنا هذا العمل ولكنه يحتاج لتعب شديد لأربضاً أهله فقالت له الهيئة روح وحاول بكل ما تملك ولازم الولد ده يجي والمسألة دي ذي ما أنت عارف مسألة وطنية ولازم أهله يقبلوا وفعلاً حاول أن يقنعني بأن أذهب إلى محطة الإذاعة وبعد فترة من المحاولة فكر الأخ حسين في أن يدخلني الإذاعة بمقلب فدعاني إلى حفلة نهارية في أمدرمان بالقرب من شاطئ النيل في حي الدباغة مع بعض الأخوة أذكر منهم فوزي حسون وكيلاني عبد القادر إلى جانب حسين طه نفسه.. مجرد حفله لكى أسمعهم فنى فقبلت وكان هذا اليوم هو يوم الثلاثاء وكان أجازة لا أذكرها فذهبت في عربة الأخ عزمي كيلاني صالون "أوستن" ودى كانت العربة الوحيدة بين الشلة فوجدتهم جميراً منتظرنى.. وكانوا مرحبين بي ومبسوطين للغاية ومضى اليوم وفي نهايته بدأ الأخ حسين وبقية الأخوة يقنعني بأن أذهب لمحطة الإذاعة بكلام كثير وهو

أنى سأعمل دعاية لبلدى وأيضاً لى أنا ولفى وسيكون عندى معجبين
كثيرين وحكون نجم من نجوم الغناء فى السودان وكلام ذى ده..ولما
قبلت على أساس أى يوم ثانى قالوا لى لا دى فرصة كويسته تروح النهاردة
الإذاعة ونحن معاك نشيل ليك ونقف وراك وكان إغراء جميل بالطبع فقبلت
وذهبت متاهم فعلاً إلى محطة الإذاعة ووصلنا إلى ميدان البوسطة ففوجئت
بعدد كبير من المستمعين ينتظرون الأخبار طبعاً ولا علم لهم بي، وحصلت
لى خوفة شديدة ولكنهم ظلوا يشجعونى إلى أن أدخلونى مبنى البوسطة
وعند المدخل استقبلتني هيئة الإذاعة بترحاب شديد اندھشت له أقاريبهم
كانوا عارفين محاولة الأخ حسين طه والتى نجحت بالفعل ودخلنا جميعاً
إلى غرفة ثانية بالقرب من غرفة الإذاعة وكانت الإذاعة بترسل أخبار وبعد
فتره وجيزه قال لى الأخ حسين طه:

يلا با سى حسن دورك جه وشد حيلك ولا تخف ونحن معاك وربنا معاك
فدخلت بخطى ثابتى وببدأت الغناء بعد أن ولع لى نور أحمر وكانت أول
أغنية أغنیها بمحطة أمدرمان هي أغنية "خداري البى حالى ما هو دارى"
غنیتها بالعود والجماعة يرددوا ورأى ويشيلوا وانتهت الأغنية السلام وخرجت
عادى إلى أن قابلت أول ناس وكانوا هيئة الإذاعة فحيوني تحية شديدة
وهنونى وكنت فاكر الحكاية أنتهت على كده ولكن بعد قليل هجم على
جمهور المستمعين وحملنى بعضهم على الأعنق مع دهشتي الشديدة ومع
هتافات : يعيش حسن عطيه مطرب الإذاعة وكانت كل مجموعة تحدفى
إلى أخرى وأنقطع قميصى وحالى ساعت فكرت هيئة الإذاعة فى إحضار
البوليس الذى تدخل وأنقذنى منهم بعد أن أصابنى الإرهاق تماماً وكان

يُنتظرنِي السيد أدوارد عطيه بعربته "الفورد" الصفراء ومن وراءه البوليس وهو الوحيد الذي كان ينقل أعضاء هيئة الإذاعة من منازلهم إلى الإذاعة وبعدها إلى منازلهم مرة أخرى وحيث أنني أصبحت منهم فأصر أن يوصلنِي إلى منزلي وخصوصاً وأنا الآن في حالة تعب شديد وفلا ركبَتْ معه العربة وأنا بالمنظر ده إلى أن وصلت إلى الخرطوم عموم بجوار جامع الخرطوم ولما شافونِي أهلَى أنزَعْجوا غَايَة الإنزعاج وشاكلوني وقالوا لي تاني ما تروح الإذاعة..

قضيت ليلتي وأنا فرحان جداً بما استقبلت به من حفاوة بالغة.. وفي الصباح ذهبت إلى المكتب وكنت باشتغل بالمعمل الكيمياوي ك محلل فحص تحاليل طبية فقابلني المدير وزعل مني جداً وقال أن هذا العمل يتناهى مع العمل في المعامل فصدمت صدمة عنيفة بعد هذا التهديد واستمررت في عملي وبعد قليل حضر إلى زميل وأسمه حسن سليمان غير حسن سليمان المطربي أخيراً، وهو يحمل معه جريدة "النيل" ودى كانت جريدة حزبية تتبع حزب الأمة وفي أول صفحة خبر عنى معناه أن الإذاعة نجحت في اختيار المطربي الجديد صاحب الصوت الجميل والنغم الحلو فوجدت نفسي في موجة شديدة من المتناقضات ولم يتم اليوم إلا ووجدت خبر آخر مفاده أن شخصية كبيرة جداً اعترضت على الأغنية باعتبارها من أغاني البناء الساقطات وقامت الدنيا وقعدت وأنا أنظر لهم حتى وصلت بعد كده إلى حل بأن يوم الثلاثاء المقبل واللى لازم أنا أغنى فيه بأن أقدم اعتذاري بحجة أنني لا أستطيع الغناء لأن المدير بتاعي منعنى وكان المدير إنجليزياً ويعمل بالمعمل كرجل علم.. وقامت الدنيا مرة أخرى وقعدت ولكن هذه المرة كانت بين مدير المخابرات ومدير المعامل باشتغلت التليفونات والمكاتب لإقناع مديرى بأن هذا العمل عدائى منه لبريطانيا

وبأنهم مستعدون لأن يجدوا لي عملاً بنفس الإذاعة وأترك العمل في المعمل.. وبعد تهديد شديد من مدير المخابرات قبل السيد المدير، رحت الإذاعة المرة دي وأنا خايف تماماً من أهلى ومن المدير.. ولما وصلت المحطة وجدت الجماهير أكبر من أول مرة فخفت يحصل اللي حصل قبل كده ولكنني وجدت أن الحكومة احتاطت وعملت لي كردونا من البوليس واستمرت بعد كده أغني في المحطة أنا يوم الثلاثاء وال الحاج سرور يوم الخميس إلى فترة طويلة وكانت مدة الإرسال كما هي ولما صارت أغانينا محببة إلى الجماهير فكرت كل عيلة في العاصمة المتبلة في أن تحضر لها راديو وفعلاً وصلت الخرطوم كميات محدودة من الراديوهات وكانت تعمل بالبطارية لأن الكهرباء لم تكن في كل بيت وبعد كده زيدت فترة الإرسال من ربع ساعة إلى نصف ساعة بعد أن زاد على البرنامج المعلقون السياسيون والمتحدثون باسم الحكومة وأزدحم البرنامج ففكرت هيئة الإذاعة في فترة إضافية اللي هي يوم الجمعة في الصباح لأن كل الوطنين والعمال بيكونوا في أجازة وفي فترة يوم الجمعة كنا نلتقي أنا وال الحاج سرور نقدم حفلتين تتخلل البرنامج كلها كانت عبارة عن القرآن الكريم لمدة خمس دقائق والباقي كلها كلمات سياسية وتعليق على الأخبار إلى جانب الحفلتين الغنائيتين .. واستطعنا من خلال هذه الفترة تكوين جماهير كبيرة أنا وال الحاج سرور وبدأ التنافس الحقيقي بيننا أحنا الإثنين في اختيار الأغاني الحماسية الجيدة والأغاني الحربية القديمة وأنا كنت باخد أغاني من العم صالح عبد القادر ومن بعض الشعراء العرب اللي كانوا بيراسلوا الإذاعة في أمدرمان أما الحاج محمد أحمد سرور فكان بيأخذ أغانيه من شعراء الحقيقة مثل أغنية يارجال الحدود وأغنية المتطوعات ذي الزهور منوعات.. إلخ.

الراديو ساهم في نشر الأغنية

بدأ ظهور أجهزة الراديو بكميات محدودة في العاصمة وبعدها توالي وصول كميات أخرى من هذه الأجهزة وزوّدت على الأقاليم والراديو كما قلت كان بالبطارية وكانت هذه الكمية تقتنيها بعض العوائل الميسورة الحال سواء كان ذلك في العاصمة أو في الأقاليم ولكن أهل العاصمة ما كان عندهم مشكلة كبيرة في تعبئة البطاريات فكانت بالنسبة للأقاليم لأن بعض المواطنين الذين اقتنوا هذا الراديوهات كانوا يسكنون في القرى حيث لا توجد ورش صيانة هناك لذلك كانوا يذهبون إلى أقرب مركز لملء بطارياتهم من هناك وكان ده يحتاج إلى جهد ووقت إلى جانب ما كان يكلفهم هذا الأمر الكثير خصوصاً إذا كان الوقت وقت خريف فيكون التعب والمجهد مضاعفاً ولكن رغم ذلك كله فإن الكل كان مبسوط جداً لأنهم شعروا بأنهم لأول مرة في حياتهم الطويلة يستمعون إلى من أجهزتهم وهم في منازلهم وقرائهم بعد فترة العمل المضني والطويل.

بعد كده بدأنا أنا وال الحاج محمد أحمد سرور في تكوين جماهير من بوادي السودان معجبين بالحاج ومعجبين بي وبدأنا ننتشر في بعض قرى السودان ومراكزه وأصبح لكل واحد منا عشاق لفنه ولطريقته في أداء أغانيه وزيدت بعد كده فترة الإرسال إلى ساعة في اليوم ولمدة أربعة أيام في الأسبوع مع فترة الصباح وكثروا المعلقين السياسيين أيضاً وانتشرت بعده كده أجهزة الراديو في كل مكان في جميع أنحاء السودان وانتشرنا نحن وبالتالي أنا والمرحوم سرور .. بعد أن وصل الفنان إبراهيم الكاشف العاصمة كما أشرت وكان معه بعض الشعراء ومن بينهم بابكر السلاوي وعلى المساح وتقابلت مع الكاشف وسرعان ما أنضم إلينا أنا وعبد الكريم حمدي ورحينا به واتخذناه

صديق وزميل جديد وبدأنا في تنفيذ وتوحيد عملنا كمجموعة ولكن حصل
بينا خلاف بسيط بعد اقتراح الكاشف بأن أعزف له على العود أثناء الحفلات
وطبعاً أنا رفضت في أن أكون عازفاً وهذا الخلاف أدى إلى هروب الكاشف
منا والسعى وراء إيجاد عازف عود له وفعلاً وبعد أيام عشر لإبراهيم على إثنين
من الأخوان هما عوض فضل الله وحجازي وكانا من سكان المورده
بأمدرمان وكانوا يعزفون على العود والكمان وبعد أن مرنهم على أغانيه قدم
نفسه لمحطة الإذاعة ونجح طبعاً فكان هو عوض وحجازي يكونون فرقة
وأنا وعبد الكريم تكون فرقة أخرى وبعد فترة من الزمن جمعنا السيد حسين
طه زكي وقال يا جماعة أنا شايف أنكم بالطريقة دي ما تأدوا عمل جيد
متكمال فاحسن أنكم توحدوا العمل مع بعض وبعد نقاش طويل اتفقنا على
أن نوحد العمل وبدون ما أعزف العود لإبراهيم في الحفلات الخارجية وبعد
ذلك فكر الأخ إبراهيم في الحفلات الخارجية وبعد ذلك فكر الأخ إبراهيم
في التعلم على عزف العود وفعلاً تدرب عليه ولكن بكل أسف وكما أشرت
من قبل لم يستطع إبراهيم أن يتعلم العود، واستمررنا على هذه الطريقة
فترة كبيرة نلحن ونغنی كمجموعة متماسكة وبعد قليل من الزمن وبعد أن
شعر أبو خليل بأن له جماهير لا تقل عن جماهيري اجتهد وواظب وعمل
العديد من الأغاني الجديدة وبدأ التنافس الحقيقي بيني وبين أبو خليل
فكأن كلما عمل أغنية جديدة كنت أنا لازم أعمل واحدة جديدة وتكون
أحسن من أغنيته ونفس الشئ كان يتضمنني أول ما كنت أعمل حاجة
جديدة كان إبراهيم يجتهد بأن يعمل أحسن منها وفي ذلك الوقت كانت
جماعة الحقيقة المكونة من الحاج سرور والأمين برهان عبد الكريم كرومه
ومحمد الأمين بادي وعلى الشايقى ومعهم شعراوههم مثل المساح عبد
الرحمن الريح وأبو صلاح والعيادى كانوا جميعاً في منافسة شديدة في

الأغانى الغزلية والحماسية وكانوا يبغونا أيضاً فى بيوت الأفراح وإحياء المناسبات المختلفة سواء فى مناسبة العرس أو مناسبة العظهور إلى جانب الحفلات التى كانت تقام بمناسبة وداع الأصدقاء أو استقبالهم وكانوا يعملوا قصائد خصيصاً لهذه المناسبات وكثيراً ما كانوا يتغنون بقصائد وأغانيات بأسماء المحتفى بهم سواء كان العريس أو غيره مثلاً لما يكون العريس كويس معاهيم وحفلاته جميلة فإذا كان إسمه منصور مثلاً يقولوا: عشت بالمنصور والنعيم عليك يدوم والهنا ومن هنا بدأ التنافس بيننا جميرا أنا وإبراهيم من جهة وفنانى الحقيقة مع شعرائهم من جهة أخرى وهكذا اشتد كما أشرت بيني وأبو خليل كمغنيين جدد وبنجني على الطريقة الجديدة بمصاحبة الآلات الحديثة بينما كان ناس الحقيقة يؤدون أغانيهم معتمدين على الإيقاعات فقط والصفقة بأيديهم.. وبعد ذلك فكروا في استخدام بعض الآلات إلى جانب الصفة وأنذر أن أول واحد منهم وهو الحاج سرور كلمنى مرة وسألنى عن العود وكيف ممكن الواحد يتعلمها وشرحـت له الطريقة ولكن يظهر أن الحاج لم يعجبـه كلامـي وانصرف كلـ إلى طريـقه والظاهر أنه لم يعجبـه أنـي أنا الشافع الصغير يتـعلمـذ على يـدي ويـتعلـمـ العـودـ فـكـرـ أنـهـ لـازـمـ يـسـافـرـ إـلـىـ مـصـرـ وـيـتـعلـمـ العـودـ هـنـاكـ دـوـنـ أـحـدـ وـفـعـلـاـ آـتـفـقـ معـ أحـدـ المـكـتبـاتـ فـيـ الـخـرـطـومـ وـهـىـ مـكـتبـةـ السـيـدـ مـحـمـدـ دـاـوـودـ وـكـانـ مـصـرىـ الـجـنـسـيـةـ وـكـانـ مـنـ ضـمـنـ عـمـلـهـ فـيـ المـكـتبـةـ أـنـ يـرـسـلـ فـنـانـىـ الـحـقـيقـةـ إـلـىـ مـصـرـ لـتـسـجـيلـ الأـغـانـىـ هـنـاكـ وـكـانـ هـذـاـ عـمـلـ يـدـرـ عـلـيـهـ مـبـالـغـ كـبـيرـةـ وـفـعـلـاـ تـمـ الـإـتـفـاقـ مـعـهـ وـسـافـرـ الحاجـ سـرـورـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ وـبـعـدـ أـنـ سـجـلـ أـغـانـيـهـ فـيـ مـصـرـ عـنـدـ وـاحـدـ خـواـجـهـ اـسـمـهـ "ـمـشـيـانـ"ـ وـكـانـ الـوحـيدـ الـمـخـتصـ بـتـسـجـيلـ السـوـدـانـيـيـنـ بـدـأـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ تـعـلـمـ العـودـ وـيـظـهـرـ أـنـ الحاجـ فـشـلـ فـيـ إـيـجـادـ مـدـرـسـ لـأـنـ كـلـ الـذـينـ كـانـواـ يـعـزـفـونـ عـلـىـ العـودـ لـأـنـهـ لـيـعـرـفـونـ طـرـيـقـةـ

أغانيه السودانية معرفة كافية ففكر الحاج سرور في أن يأخذ معه العود إلى السودان ولاحظ الحاج سرور أيضاً بأن الرق والصاجات من الآلات وزع على الشياليين ودربيهم عليها وأجادونها إجاده تامة وفرح الحاج سرور فرحاً شديداً بهذا التجديد ووصل السودان وظهر بهذه الآلات لأول مرة وطبعاً قبل الحاج مقابلة جميلة أرضت غروره وبهذه الطريقة كان الحاج مكتسحاً لكل أبناء جيله ولفترة طويلة.. ورغم أن الحاج قد اكتسح السوق بالرق والصاجات ولكنه لم ينزل بتفكير في تعلم العود وذهب بالفعل إلى أحد الأخوان وكان اسمه أحمد "شارلستون" وهو أحد عازفي العود واستمر معه فترة طويلة خرج منها بتألف بالعود ورغم أنه لم يجد العزف على العود إلا أنه كان يحمله معه في أي مكان يذهب إليه أما بالنسبة لباقي فناني الحقيقة فكانوا في حيرة كيف يستمرون مع الحاج وهم ما زالوا مغبونون بالصفقة والجag بالآلات الحديثة ومكتسح السوق.. وعشان كده تقدموا كلهم دفعة واحدة إلى السيد محمد داود صاحب المكتبة وصاحب مكتبة أخرى اسمه البازار وهو يوناني الأصل ومناسب للسيد محمد داود وقد تم لهم ما أرادوا وأرسلوا من طرف المكتبيين كل من عبد الكريم كروم وعمر البنا ومحمد الأمين بادي وإبراهيم عبد الجليل والأمين برهان وسجلوا العديد من الأغنيات ولكن بالطريقة القديمة لأن الوقت كان لا يسمح لهم بدراسة هذه الآلات لأنهم كانوا مرتبطين بأيام قليلة لا تتعدي عشرين يوماً إقامة بالقاهرة ولكنهم بعد أن سجلوا اشتروا هذه الآلات وعادوا بها إلى السودان حيث أجادوا العزف عليها بعد تدرب طويل واستمروا بها في منافسة شديدة مع الحاج سرور الذي كان قد سبقهم ونال كل الإعجاب.

في تلك الأيام ظهر أحمد المصطفى كما أشرت من قبل حيث حضر إلى العاصمة من الدبيبة في ضواحي الخرطوم وعمل في شركة أبو العلا وكان

يقيم مع مجموعة من أهل قريته وكان أحمد يشعر بأن عنده ملكة الغناء رغم أنه بدأ العزف على الصفار أو الزنبار كما يسمونها في منطقته وبعد أن اتصل بي أحمد أبدى رغبة في تعلم العود وفعلاً أبدى استعداداً طيباً ورغبة أكيدة إلى جانب تمنية بصوت سليم وأداء جيد واستمرت في دراسة العود له وبعد مدة بسيطة تعلم أحمد العود وبدأ يذهب معى إلى الحفلات الغنائية وأقدمه على أنه تلميذ ولكن لم تمر أيام حتى عمل أحمد بمفرده وأصبح له محبون وخاصة من الشباب لأنه كان يختار الأغانى التي تحاطبهم ونجح أحمد المصطفى في هذا المجال إلى حد بعيد.. وبعد كده دخل أحمد الإذاعة وكان بعد الكاشف وأصبحت إذاعة أمدرمان في تلك الفترة تمتلك رصيداً كبيراً من الفنانين وهو السبب الذي دعاها إلى مد فترة الإرسال وزادت عدد ساعاتها بعد كده جلسنا أنا وأحمد والكاشف وأخذنا العازفين ونظمنا عملنا على أن تكون يداً واحدة ووحدة متكاملة لتعمل معاً على رفعه الفن السوداني في بلادنا بطريقة جديدة ومبكرة وفعلاً وحدنا عملنا داخل الإذاعة بأوركسترا موحدة من الأخوة عوض فضل الله وجعازى وعبد الكريم حمدى وأنا وأحمد المصطفى هذا بالنسبة للإذاعة أما بالنسبة للحفلات فكان نفس الشئ كل واحد ما يكون عنده حفلة خارجية جميع أفراد الأوركسترا يحضروا معاً.. وبعده كده فكرنا في إيجاد عازف طبلة وذهبنا إلى قوة دفاع السودان ووجدنا شاباً صغيراً اسمه عبد الكريم محمد وكان من ضمن أوركسترا موسiquat al-jish وطلبنا منه أن يشترك معنا في أوقات فراغه فرحت الشاب بعد أن أستاذنا له من رئيسه السيد محمد مرجان والذي وافق بشدة.. وهكذا أكتمل الأوركسترا وكان فتحاً جديداً في عالمنا الموسيقى.

وأصبحنا جنود في قوة دفاع السودان

كان الإيقاع في هذه الأوركسترا عبارة عن وحدة جاز مصفرة حيث كان يتكون من طبلة كبيرة وطبلتين صغار وصاج كبير وكان عبد الكريم أحمد يعزف على هذه الآلات بطريقة مبتكرة مما جعل المستمعين يميلون إلى سمعنا أكثر من جماعة حقيقة الفن والتي اكتسحناها اكتساحاً شديداً قلل من ظهورها خصوصاً في حفلات الأندية في العاصمة المثلثة.. وبعد أن كانت فترة الإرسال بالإذاعة لمدة ساعة كل يوم وأصبح عدد الساعات بالإذاعة ثلاثة ساعات في الأسبوع وساعة أخرى يوم الجمعة وزادت شهرتنا في الأقاليم وأصبح لكل واحد منا أنا وإبراهيم وأحمد معجبون وبذات تطلبنا الأقاليم في حفلات جماعية وبالمناسبة دى أحب أن أشير بأن أجزنا في الإذاعة كان خمسين قرش لغير ولكن في الأقاليم كانت حسب التسهيل .. مصاريف القطر والأكل على النادي صاحب الحفلة وبعد كده يعطينا اللي فيه النصيب..

المهم بعد ندء انتشار الراديوهات في أقاليم السودان وكثرة مشاكلها كما قلت من قبل من حيث ملء البطاريات وعدم وجود محلات صيانة للأجهزة ولكن هذا لم يمنع المواطنين فكانوا مصريين على سمعنا وبذروا بالفعل يراسلون إذاعة أمدرمان ويطلبون منا الأغاني المحببة إليهم.. وكانت تحصل مناقشة شديدة بينهم إذا إذيعت أغنية لأحد ولم تدع أغنية لأخر.. ولهذا اشتد الضغط على محطة الإذاعة حتى بذات في إذاعة برنامج "ما يطلبه المستمعون" ولأول مرة وانتظم هذا البرنامج وكان يذاع في تمام

الساعة الرابعة من بعد ظهر أيام الثلاثاء والخميس من كل أسبوع وكان كل مغنمنا يؤدى أغنية واحدة ومعها كسرة أو أغنية خفيفة هدية منه للمعجبين به ممن طلبوا القصيدة وكان فى برنامج ما يطلبه تنافس شديد بين المشتركين من الفنانين فكان كل مطرب يغني فى هذه الفترة بمشاعر صادقة وإخلاص شديد وفي ذهنه أنه لابد أن يتتفوق على زميله الذى سبقه أو الذى سيغنى من بعده وكان التنافس يشتد أكثر وأكثر كلما كان معظم الذين يطلبون الأغنية من السيدات أو الأنസات باعتبار أن دى حاجة جديدة وكان المطرب يؤدى أحسن ما عنده وكنا نقول يا رب! مين كان أحسن واحد! إلى أن نلتقي بالمعجبين خارج مبنى الإذاعة ونشوف مين أكثر واحد التف به الجمهور وهنأه بأغنيته المطلوبة وينتهي الوضع إلى أن يذهب كل واحد إلى منزله وهو يفكر فى البرنامج القادم وبضرورة ظهوره فيه بشكل أفضل.

أذكر ونحن فى هذه الحالة أنى فكرتأتكلم مع المسؤولين فى أن يعملوا لنا مجلة تختص بالإذاعة فتقدمت بطلب إلى السيد حسين طه زكي وكان فى ذلك الوقت مدير الإذاعة المباشر وقبل الطلب فعلاً وكان مسروراً منه جداً لأن فى هذا عمل كبير يزيد من أهمية الإذاعة وفعلاً تم لي ما أردت وخرجت بعد ذلك مجلة "هنا أمدرمان" وكانت أول من ظهرت صورته، وبعد كده بدأت المجلة تأخذ وضعها فى الانتشار لأنها بتنشر أخبار الفن والفنانين إلى جانب صورهم وده كان شئ مهم بالطبع بالنسبة للمستمعين فى كل أنحاء القطر وخارج الحدود أيضاً وبدأة ترسل الطلبات من خارج البلاد وزاد عدد طالبى الأغانى فى برنامج "ما يطلبه المستمعون" ومن هنا فكر

الأستاذ حسين في عمل كوبون داخل المجلة يكتب فيه أسم المغني المطلوب والأغنية المطلوبة له.. وهكذا خرج أول عدد يحمل الكوبون الذي يتتيح لمقتنى هذا العدد بأن يرسل الكوبون إلى محطة الإذاعة في أمدرمان بعد أن يملاً البيانات المطلوبة وفي هذه الحالة يمكن للمشترك أن يفوز بجائزةتين الأولى تذاع له الأغنية وإذا فازت أغنيته بأكبر الطلبات وتفوقت عن غيرها يفوز أحد المستمعين باشتراك سنة في مجلة "هنا أمدرمان" بالمجان طبعاً وهذا الموضوع أوجد بيننا تنافس كبيراً وشديداً وجعل كلاً منا ينتج أنتاجاً سرياً وممتازاً في نفس الوقت، ونظراً لزيادة عدد مستمعينا في أقاليم السودان فقد فكر كل أقاليم في عمل ناد رياضي ليستطيع أن يرسل باسمه لإحضار المطربين إلى مناطقهم وليستمعوا له مباشرةً ويستمتعوا بأغانيهم في نفس الوقت.. وفعلاً بدأت رحلاتنا إلى أقاليم السودان شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً وأصبح السفر يدر علينا مبالغ لا بأس بها إلى جانب الشهرة والفسحة في أقاليم السودان.

بعد كده فكرت الحكومة بعد إلحاح شديد من قواتنا في الجيش المرابطة في جنوب السودان وكان الجندي لما ينقلوه إلى الجنوب لازم يقضى مدة تمتد لستينين وفي المدة المقررة لأى قرقة تذهب إلى الجنوب وطبعاً دى مدة كبيرة لجندي يغيب فيها عن العاصمة ففكروا في أن يرسلوا لهم على فترات متقطعة للتعرفيه عليهم في مناطقهم وفعلاً بدأنا نذهب إلى جنوب السودان وهذه العملية أضافت لنا معجبيين جدد يعني زاد رصيدنا من المعجبيين، ولم نقف عند هذا الحد بل ولما اتسعت محطة الإذاعة وبدأت ترسل برامجها إلى أبعد من حدود السودان ولما كان جنودنا يحاربون في عدة مناطق من ضمنها خشم القربة في الحدود السودانية وداخل إريتريا

وحذود الحبشه وفى العلمين وطرابلس وكان الجنود يستمدون لإذاعة
أمدرمان من هنا فكروا أيضاً فى طلب الفنانين إلى الميدان، وهذه كانت
مفاجأة ليتنا بالطبع لأنه لأول مرة حى سمعونا فى مصر وطرابلس وارتريا
والحبشه وفعلاً انتظمت البعثات وكانت أول بعثة إلى طرابلس وكانت مكونة
من الحاج محمد أحمد سرور وأحمد المصطفى والسر عبد الله والثانية
ذهبت إلى أرتريا وكانت مكونة من حسن عطية وإبراهيم الكاشف.. وبدر
التهامى وعينونا كجنود وألسونا ملابس ضباط الجيش وليس الجنود ولكن
بدون رتب عسكرية وكنا نسافر في الدرجة الخاصة بالضباط سواء كان ذلك
بالقطارات أو بوابور البحر أو بالطائرة وكنا نقيم في الميدان في
معكسرات الضباط أيضاً بمعامل معاملنهم تماماً وكنا نحمل على أكتافنا علامه
ومعندها قوه دفاع السودان.. ومعنى هذا إذا أسرنا العدو نعامل معامله
الجنود ومن أول وحدة قابلناها وجدنا استعداداً كبيراً جداً وشارات نصر
وعلامات تدل على قدومنا والترحيب بنا وزهور وورود تعلن عن مجئنا
واستقبالنا كأننا أبطال عظام وأذكر هنا أن المكافأة الفنية كانت عبارة عن
مواهى شهرية تصرف في السودان وكان يصرف للفنان المغني مبلغ ثلاثة
جنيها وللعازف ١٥ جنيهاً ولكن كنا عندما نذهب لأى وحدة ونتحى لها حفلة
ونغادرها إلى أخرى كانت الوحدة من فرط سرورها تقدم لنا ما لا ذ وطاب
من أكل وشرب وحلويات إلى الهدايا من ملابس وسجاائر وصابون.. الخ..
وفوق كل هذا كانت تسلمتنا مظروفاً مغلقاً وبداخله مبلغ محترم كهدية من
جميع الضباط وصف ضباط الوحدة وغالباً ما يكون ما يكتب ما يدخل المظروف قدر
ما هيئت الشهريه وربما يزيد وهكذا أمضينا ما يقرب من ٤٥ يوماً متوجولين
داخل المعسكرات وداخل صفوف الجنود في الميدان.. وكانت رحلة
خطيرة بالطبع لأننا كنا نعمل بالنهار خوفاً من أن يرى العدو أنوار الحفل
بالليل ويضرب في المليان..

من حصار كون إلى حفلة سرور بالقاهرة

أذكر أننا دخلنا منطقة "كون" حيث يوجد جنود تاها هناك وبعد وصولنا مباشرة حاصرت القوات المعادية مدينة "كون" واستمر الحصار لمدة أربعين يوما.. وكان في داخل المدينة خندق كبيراً جداً كان يتسع لكل سكان المدينة.. وأذكر أن طائرات العدو كانت تضرب بالليل والنهار وكان الضرب مستمراً من الأرض ومن السماء.. وكنا بالطبع داخل الخندق وما كنا بنشوف الأرض إلا خلال سويقات قليلة نلتقي فيها مع بعض أخوانا السودانيين واستمررتنا على هذا الحال فترة كبيرة وطبعاً كنا منقطعين عن العالم لا أخبار ترد إلينا ولا أخبار نرسلها ولكننا لم نخف ولم نهرب الضرب وكان الموضوع بالنسبة لنا مسألة أصبحت عادية ونأخذه كنوع من التسلية لصغر سننا وعدم تفهمنا لحقيقة ما كان يحدث بالضبط، واستمر الحال على ذلك حتى نقلنا إلى السودان.

ولما وصلت السودان عائداً مع زملائي في البعثة علمت أن الأخوين سرور وأحمد بعد أن أكملوا رحلتهم في طرابلس عرجوا على مصر للراحة، وبعد أن قضيت فترة قصيرة بالعاصمة وأنا طبعاً كنت منعش يعني عندي فلوس كثيرة طلبت من المسؤولين أجازة أقضيها في مصر للراحة من رحلة الحرب فسمحوا لي وسافرت فعلاً إلى مصر التي كنت أمني نفسي من زمان لزيارتها ومشتاقاً إليها اشتياقاً شديداً وهذا هي الفرصة قد جاءت بالفعل وسافرت طبعاً المرة دي وعلى كيفية وكان السفر إلى مصر بالقطار ثم بالبحر والقطار المصري وكانت رحلة جميلة وممتعة للغاية.. ووصلت القاهرة بعد أن كنت قد أرسلت تلغرافاً لمقابلتي بواسطة وكيل حكومة السودان وقابلني كل

الأخوان في محطة مصر وكان بينهم من الفنانين الحاج سرور وأحمد المصطفى وإبراهيم عبد الجليل وإسماعيل عبد المعين وكان معاهم كمان الأستاذ محمد أمين حامد المحامي والأستاذ عبید حسن حسان المحامي وأيضا العازف السر عبد الله وأذكر أنسى وصلت الساعة التاسعة صباحا وأخذوني إلى منزل الأخ عبد دهب فقد كان منزله قبلة لأخواننا الطلبة.. وفي نفس اليوم كانت فيه حفلة بنادى اتحاد شمال السودان لصالح النادى يحييها الحاج سرور وأحمد المصطفى وإسماعيل عبد المعين وإبراهيم عبد الجليل وطلبو منى أنأشترك معهم ولكنى اعتذر لأنى كنت مرهقا من السفر ولأن أسمى لم يكن بالدعابة وفضلت أننى أكون ضمن المستمعين.. ولما حل ميعاد الحفل حصل أندهاش شديد لأنى ما كنت أنتظر أن يكون لنا معجبين في مصر بهذا الكم الهائل فقد امتلأ النادى على آخره إلى جانب حضور أعداد كبيرة خارج النادى لم يكن لهم مكان بالداخل ونقطت التذاكر عن آخرها.. ولاحظت أن دموع الفرح تغلب على سرور بتفهم أهل مصر لفنانا السوداني وكان بين الجمهور خليطا من أخواننا المفترفين الذين يتطلعون للإستماع إلى الفن السوداني لأول مرة إلى جانب المصريين الذين سبق لهم أن عاشوا في السودان أيام وجود الجيش المصري هناك وهؤلاء عندهم فكرة مسابقة عن الفن الغنائي في السودان ومن هؤلاء كان هناك بالطبع مجموعة كبيرة من مواطنى شمال السودان من أهالى حلفا ودنقلة من الذين يعملون في القاهرة إلى جانب خضر السواحل بأعداد كبيرة جدا وكانت ليلة جميلة استمرت حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي وخرجت أنا شخصيا من هذه الليلة بأننى أخذت فكرة طيبة

عن الفن السوداني في مصر وما يدره للفنانين من مكاسب كبيرة فنية
واجتماعية إلى جانب المكاسب المادية بالطبع.. وهكذا تحققت أمالى في
حب مصر من أول يوم وصلت فيه إلى القاهرة ..
والشئ الذى أحب أن أوكده أن اشتياقى لزيارة مصر والذى تحقق فى
ذلك اليوم بفضل الله كان نتيجة لما شفته وأنا في السودان من خلال
الأفلام التي عرضت عنها في سينما الخرطوم ومن بين هذه الأفلام فيلم
"الوردة البيضاء" لعبد الوهاب وفيلم "فاطمة" لأم كلثوم و"شجرة الدر"
وغيرها فكانت صوراً جميلة خالص كنا نتواقى لرؤيتها والاستمتاع
بمشاهدتها.. وباختصار كنا بنحلم كلنا بزيارة مصر وهذا هو الحلم وقد تحقق
بالسفر والحضور وكان جيبي منتظر ومازال من الرحلة بالغلوس وأذكر أن
البدلة كلها كانت بتتكلف ثلاثة جنيهات قماش وتفصيل والترزى بتاعى
مازال موجود الآن وهو سوري الجنسية وأسمه يوسف خانجي ..
واللى شجعنا كمان لزيارة مصر في الوقت داك أنه سمعنا بأن سور واحمد
المصطفى بعدما رجعوا من شمال أفريقيا حيستمروا في مصر لفترة معينة
وحنتقابل معاهيم هناك وهذا ما حصل بالفعل وزاد من سورنا فعلاً.. وبعد
كده أتلمنينا مع بعض وفكربنا في عمل حفلات بالمسارح وفعلاً عملنا أكثر من
حفلة ولاقت هذه الحفلات أكبر نجاح وكنا بنعملها في مسارح عماد الدين
وأذكر أننا عملنا واحدة في مسرح الريحانى وبعد فترة سافر أحمد المصطفى
وسور إلى الخرطوم واستمرت أنا في القاهرة وكان معاي من العازفين السر
عبد الله وعبد الفتاح مرجان وفي الوقت ده كان في مصر أول اثنين
طيارين سودانيين درسوا الطيران في شركة مصر للطيران وهما موسى

عن الفن السوداني في مصر وما يدره للفنانين من مكاسب كبيرة فنية
واجتماعية إلى جانب المكاسب المادية بالطبع.. وهكذا تحققت أمالى في
حب مصر من أول يوم وصلت فيه إلى القاهرة ..
والشئ الذى أحب أن أوكده أن اشتياقى لزيارة مصر والذى تحقق فى
ذلك اليوم بفضل الله كان نتيجة لما شفته وأنا في السودان من خلال
الأفلام التي عرضت عنها في سينما الخرطوم ومن بين هذه الأفلام فيلم
"الوردة البيضاء" لعبد الوهاب وفيلم "فاطمة" لأم كلثوم و"شجرة الدر"
وغيرها فكانت صوراً جميلة خالص كنا نتواقى لرؤيتها والاستمتاع
بمشاهدتها.. وباختصار كنا بنحلم كلنا بزيارة مصر وهذا هو الحلم وقد تحقق
بالسفر والحضور وكان جيبي منتظر ومازال من الرحلة بالغلوس وأذكر أن
البدلة كلها كانت بتتكلف ثلاثة جنيهات قماش وتفصيل والترزى بتاعى
مازال موجود الآن وهو سوري الجنسية وأسمه يوسف خانجي ..

واللى شجعنا كمان لزيارة مصر في الوقت داك أنه سمعنا بأن سور واحمد
المصطفى بعدما رجعوا من شمال أفريقيا حيستمروا في مصر لفترة معينة
وحنتقابل معاهيم هناك وهذا ما حصل بالفعل وزاد من سورنا فعلاً.. وبعد
كده أتلمنينا مع بعض وفكربنا في عمل حفلات بالمسارح وفعلاً عملنا أكثر من
حفلة ولاقت هذه الحفلات أكبر نجاح وكنا بنعملها في مسارح عماد الدين
وأذكر أننا عملنا واحدة في مسرح الريحانى وبعد فترة سافر أحمد المصطفى
وسور إلى الخرطوم واستمرت أنا في القاهرة وكان معاي من العازفين السر
عبد الله وعبد الفتاح مرجان وفي الوقت ده كان في مصر أول اثنين
طيارين سودانيين درسوا الطيران في شركة مصر للطيران وهما موسى

بدرى ومحمد أىوب وبعد التخرج فكرروا بدل ما يرجعوا بالقطار يرجعوا
لناسهم بالطائرة لأول مرة وبعدين الشركة طلبت منهم ٣٠٠ جنيه مصاريف
الطائرتين ماشى وجاي وما كان عندهم هذا المبلغ فجاؤا إلى عشان أعمل
لهم حفلة بالأسكندرية حيث كان يقيم الطيار محمد مع ذويه بصفة دائمة..
وبالفعل عملت الحفلة بتبرع مني وكان إيرادها ستمائة جنيه وكانت في
سينما الهبرا وحضرها كل السودانيين الموجودين بالأسكندرية وأيضاً حضر
من القاهرة عدد كبيرة وكان هذا في عام ١٩٤٤ وفي نهاية الحفل طلبوا
مني أما أخذ أجر أو أسافر معاهم إلى السودان بالطائرة وفي نفس الوقت
طلبوا من السيد علي البرير أن يطير في الطائرة الثانية وأنا رفضت السفر
وأيضاً على رفض لما قالوا له أن العمر واحد فقال أنا عارف عشان كده لازم
أحافظ عليه.. وطار السيدان موسى بدرى ومحمد أىوب إلى السودان
وهكذا انتهت رحلتى الأولى لمصر بنشاط على المسرح في القاهرة
والأسكندرية وحفلات في نطاق السودانيين ورجعت إلى السودان لازوال
عملى كالمعتاد.

وإذا رجعنا للحدث عن إذاعة أمدرمان فنقول أن من الأصوات التي
ظهرت في ذلك الوقت عائشة الفلاطية وكانت الحرب قد قاربت على
الأنهاء وبدا الجنود يرجعوا لأهلهم فغنت لهم عائشة "ييجوا عايدين أن
شاء الله" وفي نفس العام ١٩٤٥ م فكرنا تانى نروح القاهرة وجيئنا كلنا
الأسماء المعروفة في ذلك الوقت وحضر معنا لأول مرة أبراهيم الكاشف
وكان في الوقت ده بدأت الإذاعة تخصص مساحة لإذاعة مواد سودانية
ولمدة ربع ساعة في الأسبوع واشتراكنا على الهواء في تقديم فقرات غنائية

في هذا الركن المخصص للسودان وكان المسئول في هذا الوقت المرحوم توفيق أحمد البكري وفي هذه المناسبة ما أنساش أن اللي كانوا بيدرسوا في القاهرة من السودانيين واللي كانوا بيجتموا في بيت السودان في هذا الوقت في الدقى ذكر منهم د. عقيل أحمد عقيل وبشير البكري وعز الدين على عامر وعبد حسن حامد وعبد الماجد أبو حسبيو.

وهكذا دخلت لأول مرة مبني الإذاعة المصرية في شارع الشريفيين لأقدم أول أغنية للمستمع المصري وكانت برضه أغنية خداري نفس الإغنية التي قدمتها لأول مرة في إذاعة أمدرمان أيام البوسطة "البوسطة" وأجري كان خمسة جنيهات عن الحفل وطبعاً الأشنية أو الفاصل الغنائي كان على الهواء مباشرة وأذكر وأنا في الشباك أمام الصراف كنت أنا وأحمد المصطفى وفريد الأطرش وكان بيقبض نفس المبلغ نظير حفلة على الهواء في البرنامج العام..

كنت أقيم في حى عابدين ؟ حارة درويش مع الأخ عبد دهب في منزله الخاص وده اختاره لي أخوانى الفنانين لأن سرور وأحمد المصطفى كانوا ساكنين فى نفس الحي وما جربن حجرة وشارشناها بمعرفتهم .. واستمرت مع الأخ عبد دهب وكنا دائمًا بنجتمع في هذا البيت لعمل البروفات والونسة وزى ما قلت ليكم أخوانا الطلبة اللي ذكرتهم قبل كده كانوا دائمًا يحبوا يقعدوا معانا ويختاروا لينا الأغانى اللي بنشترك فيها في الحفلات.

رحلة القاهرة وأغنية "ست العربية"

يمكن القول بأن زيارة الأولى للقاهرة قضيتها في الحفلات المخصصة لأخواتنا الطلبة إلى جانب الحفلات الرسمية عشان كده لم أفرغ كلية للتعرف على عالم البلد التي أزورها لأول مرة وكان أهم ما في الموضوع وجود الأخ عبد المنعم عبد الحفي و كان قد بدأ حياته كشاعر في القاهرة ولصداقتى معه من الكتاب ومن الخلوة في الخرطوم كما أشرت من قبل اهتم بي جداً الرجل وأعطاني كل انتاجه في ذلك الوقت وبدأ أنا وهو نلحن ولا أنسى أن عبد المنعم غير أنه شاعر وأديب كان عنده فكرة كبيرة جداً عن الألحان وكثيراً ما كان يشارك في أداء أغانيه وفي نفس السنة فكر عبد المنعم في الزواج وأقمنا له حفلات اللي بنسمها عندنا حفلات "سد المال" والحلقات دي أخذت منها أياماً ونيالى وأول مرة آشوف فيها الأفراح المصرية السودانية وأنا أذكر بأن أخواتنا المصريين اللي كانوا بيسمعوا أغاني بعض المعطوبين القدامى مثل بشير الرباطي أول سوداني سجل في القاهرة - كانوا مستغربين جداً من الأسلوب الجديد بتاعنا وبدأوا يتفهمون أغانينا ويستجاوبون معانا - وده خلاني أزيد الاهتمام بكل ما أقدمه من أغانيات جديدة لأنني حسيت فعلاً بأني أضفت إلى جمهوري العديد من المصريين.

وأذكر في هذه الأيام أنه كان موجود بالقاهرة المرحوم بشير عبد الرحمن - وهو أحد شعراً السودان ودرس الهندسة بالقاهرة وكان يعمل في هندسة الري بأسوان - وفي فترة الاجازة اجتمع بنا أنا وإبراهيم عبد الجليل وكتب

أول أغنية تغنت له في ذلك الوقت وكانت أغنية "ست العربية" وهذه الأغنية كان ليها قصة طريفة ما كانت من وحي جلساتنا كان وهو موجود في محل الجمال بشارع عدلي بالقاهرة ومعه بعض الرفاق ومرت بالشارع بنت ، من بنات الذوات وكانت تقود سيارة من النوع الفاخر "كاديلاك" وكانت لأول مرة ترى أخواناً السودانيين بمنظر آخر غير العلية السودانية.. فتوقفت للمنظر ده وحياتهم وسألتهم من وين ! فقالوا من السودان وبعد التعارف عرضت عليهم الفسحة وقبلوا بصحبتها بعربتها وأول ما انطلقت مرت بقصور النيل وطافت بيهم الجزيرة وفي نفس الوقت كانت تتوسّع معاهم عن بلدتهم وحياتهم ومن هنا نزل الوحى على الشاعر بشير عبد الرحمن بكلمات أغنية ست العربية والتي يقول في مطلعها .

دى صدفة في الجمال شغلت علينا البال خلبت صديقنا جمال وأعتقد أن فيه كثيرو من الأصدقاء اللي حضروا معانا الوقت ده يتذكروا جيداً قصة هذه الأغنية وأنا حسّة وأنا بحكيها في ذهني قصة الأغنية كما رواها الأصدقاء ودى في الحقيقة مش حاجة غريبة بل حاجة عادية جداً بعد كده شفناها مع عشرات الأغاني .. والأغنية دى بالذات "ست العربية" كان يعنيها المرحوم إبراهيم عبد الجليل قعيد الفن والمُعروف باسم عصافور السودان .

ورجحت السودان بعد كده لواصل نشاطي وبدا يظهر عدد من المطربين الجدد أذكر من بينهم عبد الحميد يوسف وعثمان حسين والتاج مصطفى وعثمان الشفيع إلى جانب حسن سليمان .. وبظهور الأصوات الجديدة دى زادت المنافسة بيننا وزاد النشاط بالنسبة للحفلات والرحلات في داخل

السودان وبدأ كل واحد فينا يميل إلى التجديد في الحانه وفي نفس
الوقت ازداد عدد العازفين فظهر حسن الخواض

وأحمد حامد النقر، وأستمر نشاطنا في نطاق الحفلات الساهرة والإذاعة، والمسارح إلى جانب ليالي الأفراح وكل مطرب جماهيره وبالطبع بدأت الإذاعة تعمل دعائيات للمغنيين وأسماني الأستاذ حسن طه زكي "بأمير العود" لأنني كنت أول فنان يظهر في بالعود وسمى أحمد المصطفى فنان الإذاعة الأول وسمى المرحوم الكاشف "مطرب الجماهير" وبعد كده كل واحد فينا اتجه لنوع معين من الغناء يناسب جماهيره فسميت أنا بعد كده بفنان الطيبة الراقية لأنني كنت متخصص في حفلات كلية غردون اللي هي جامعة الخرطوم الآن.. وما أنسى من الشعراة اللي كانوا بيكتبوا لى القصائد في ذلك الوقت من بينهم عبد المنعم عبد الحفي و إبراهيم الطاش و عبد الرحمن الريح و عمر البنا وخضر حسن سعد وغيرهم، وأول شاعر شفته في الحقيقة قبل الأسماء دي كان المرحوم الخليل ودى ما أشرت في بداية ذكرياتي كان الخليل بيالف ويغنى وأنا كنت بحفظ وراء وقت أن كنت طفل صغير مع حسن سليمان وكان عبد القادر سليمان يرعاني وازدادت بعد كدة رعاية عبد القادر سليمان لي وكانت في ذلك الوقت مازلت أقطلخ لكلمات جديدة عشان أحنها برأي وفي اللحظة دي كان معانا صديق يكبرني بحوالي ثمان سنوات تخرج في كلية غردون وكان يزاول الشعر وهو المرحوم خضر حسن سعد فاتصلت به عشان بعمل لي أول قصيدة غنيتها من شعره وتصادف أن كان معنا أحمد إبراهيم الطاش وكان شاعرا قدি�ما يكبرنا بكثير فأبسط مني لدرجة أنه تبع بعمل قصيدة هو الآخر وبعد يومين من الكلام ده كان الطاش أسرع من المرحوم خضر فأعطاني قصيدة أسمها "حبيبي اللول" فلحنتها ولما سمعتها له هو وخضر أعجبوا بها جدا وكان

حضر في الوقت ذلك ما حضر ولا كلمة من قصيدةه التي وعدني بها وأقترح
في الليلة دي أنه نمشي نسهر في محل "شناكة" المعروف في ذلك الوقت
ورحنا هناك وأول ما جلسنا مرت علينا فتاة متفرجة شوية وهي كانت في
الأصل طلبانية من ناحية الأب وأمها سودانية وكانت جارقى في نفس.
الوقت فلما مرت على وسلمت ، أخذت معى فترة قليلة من الزمن على قرب
من نفس الترابizza بتاعتنا ومنظر زى ده كان نادر زمان وغير بـ شوية
وبعدين هما طلبواني أن تجلس معانى فقلت لهم أنها ماشية لخطيبها وما
ممكـن تجلس معانا المهم أن المنظر ده أوحى للمرحوم حضر حسن سعد أنه
يعمل قصيدة لي وبالفعل عمل أول قصيدة لحنتها له وكانت أغنية:

يحيى الحب دام صفانا وعاش النيل الروان

بعد كده أنا بدأيت أخذ من الإثنين حضر والطاش وكل قصائدي في الفترة
دي كانت منهم ولما نجحت قصائدهم في الإذاعة تقدم لي بعدهم ثالث
شاعر أتعاون معه وهو عبد الرحمن الريح وقدم لي الريح سبع قصائد دفعة
واحدة فلحسنتها كلها وقدمتها تباعاً أبتداء من ١٩٤٤م وكانت من بينها
أغانيات : أقول أنت نور، لو أنت نسيت، أنت حياتي وأغنية الخرطوم
وغيرها.. وهذه الأخيرة "الخرطوم" نجحت جداً لأنها أول قصيدة تصف
مدينة الخرطوم ونجحت تجاحاً كبيراً لدرجة أنها عجبت مدير الاستعلامات
الإنجليزي في ذلك الوقت اللي هو "المستوارير" وأصر أنه يعمل منها فيلمًا
وكان يهدف من وراء هذا خدمة الاستعمار وفعلاً تم عمل الفيلم لأغنية
الخرطوم وكان ملوناً ولأول مرة يظهر فيلم ملون في السودان وطبع في
لندن وكانت مدة الأغنية سبع دقائق وتم تصوير المناظر في المقرن وسرائي
الحاكم العام وفي جناب شمبان أيضًا.

عبد الرحمن الريح وضع هيكل ألحان معظم أغانياته

ومن حق الشاعر عبد الرحمن الريح على الآن وأنا أسجل ذكرياتي إلا أسلبه حقه في التعاون المخلص معى في بداية حياتي الفنية في ذلك الوقت فهو الشاعر الأديب والفنان الذي يحس بالكلمة وكثيراً ما كان يشترك ويضع بنفسه هيكل اللحن لكلمات التي يكتبها و كنت أنا بعدها أتولى تنظيم اللحن وأصيغه بالطريقة التي تتناسبني ولذلك كنت أنا عادة أكون صاحب اللحن في النهاية والجميل في الريح أنه كان لا يطلب مني أجر لحن لأنّه كان يتصور أنه يعمل فيه حاجة كثيرة لكنه أرشدني في البداية بحكم غيرته على الأغنية وحرصه على أن تظهر في الشكل اللائق وكان غرضه كلّه أن تنتشر أغانيه والشاعر بعد الرحمن الريح بطبيعته مثال للكتابة في جميع الألوان فإلى جانب اللون العاطفي كان يكتب أيضاً أشعاراً وطنية وأشعار مناسبات إلى جانب الأشعار الدينية وهو من ضمن الشعراء الذين لا يكتبون القصائد بقصد التجارة إنما كان بيشتغل لفنه وكل ما كانت تجود عليه قريحته بقصيدة جديدة كان يعرضها على ويعمل هيكل اللحن بالطريقة التي تتناسبني وبعد ما يخلصها طوالى يكلمني بالتلفيفون ويمسّك العود ويفنيها لي عن طريق التليفون.

وعبد الرحمن الريح من مميزاته أيضاً أنه كان يهتم بالمناسبات سواء كانت وطنية أو تاريخية أو دينية وكان من بدري يستعد لهذه المناسبات بكلمات تتناسب كل مناسبة ويتبعها على أصدقائه الفنانين وهذا ما يعرفه

جيدا كل أصدقائه المقربين ومن مميزاته أيضا أنه الشاعر صاحب الكلمة السهلة والسلسة ومن أمثلة ذلك الأغنية التي يقول فيها:

الزهور صباحية وأنت نايم داعبت شعرك النسائم

لقد أبدع الشاعر عبد الرحمن الريح في تأليف أغنية الخرطوم والتي لاقت نجاحا كبيرا عند جماهير المستمعين وفيها يقول الشاعر:

ألوان الزهور زانت أرضها	وأصبح بعضها ينافس بعضها
زانت أرضها ألوان الزهور	وشتت روضها أسراب الطيور
خمرها للنفوس يسكر غير كنوس	لاشك هي عروس النيل وحدها
في المقرن تشفف الأشجار صنوف	والنيل حولها كالآباء يطوف
يدفع في ظلال من خمره الحال	أنواع الزلال ونعميم الحال
طلوها وعرضها	

والشاعر الطاش من الجعليين وقد ورث الشعر من قبيلته وكان ينظم الشعر بالعربي الفصيح وبالعامية السودانية وعندما بدأ معنى أعطاني قصائد باللهجة الدارجة زى أغنية "يا حبيبي ناوي الرحيل" والشاعر أحمد إبراهيم الطاش كان موظف حكومة ولم يكن دائم اموجود في العاصمة فهو في مأموريات خارجها ولكن كلما انتهى من قصيدة وهو خارج العاصمة يرسلها لي من هناك وفيجاءة كان يسمعها من الراديو وينبسط منها ويرسل لي جوابات تهانى بعد إذا نعتها وفي الوقت ده كان الشاعر نادر بن وكانت كل القصائد مختارة وكتب لي الطاش غير أغنية "ناوي الرحيل" أغنيات كثيرة بعدها.

يمكن أن أضيف على الكلام إلى قلته عن الشاعر خضر حسن سعد بأنه كان دائما شعلة نشاط وتأثيرا على الأوضاع في البلد وعاش عيشة الخليل في السودان وسيد درويش في مصر فكان دائما يأخذ كلامه من أفواه الشعب

السودانى المكافح ومن ضمن أغانيه أغنية كتبها الفتاة أحبها وتخيل أنها
تزوجت غيره فقال فيها:

ما شقيتك وأنت الشقيتينى راعى نص الهوى والغرام
ولما رآها خضبت يداها بالحننة يقول لها:

ما الخضاب الحنن يداكى والأبار الدقت شفاكى

هل خطيبا طالب يداكى ولا زينك قلبوه شين

وتخيل رد الفتاة على هذه الكلمات فيقول:

ما خطيبا طالب يدائى وما الأبار الدقت شفای

ذاك أثر البكا يا منايا وكفى تمسح صبحى ومساى

فهذه صورة من الصور العديدة التي عاشها المرحوم خضر حسن سعد
ويتمكن القول بأنه كان مهملًا جداً في أوقات راحته وقضى زهرة شبابه بين
عمله الرسمي وسهره وحبه لفننه فلم يكن يستريح ولا يهتم بنفسه إلى أن
أصيب بمرض صدرى نفس المرض الذى أصيب به الخليل وبنفس الطريقة
ولم يهتم بمسألة العلاج وكان فعلاً في ذلك الوقت لم يكن له علاج حتى
انتهى وهو في زهرة شبابه.

وفي نفس العام وحينما توفي خضر حسن سعد لم يكن في العاصمة كنت في
ليبيا مع الزميل أحمد المصطفى وبالذات كنا في طرابلس وكنا لما بدأنا
الرحلة من القاهرة إلى ليبيا بنكتب إلى أهلنا أنهم يرسلوالينا على طرابلس
طوالى. ولما وصلنا هناك وفي ليلة من الليالي عملنا حفلة وببدأناها الساعة
الخامسة والنصف مساء وحضر إلينا البوليس الحربى وأوقفنا في الطريق وقال
يا جماعة عندكم جوابات كثيرة من السودان وفرحنا جداً واستلمنا

الخطابات، وبأننا نقرأ فيها في نفس المكان ولكن وبكل أسف فرحتنا لم تتم لأن أول خطاب فتحته وجدت فيه خبر وفاة حضرة حسن سعد الذي رحل ولم يستجاور الخامسة والثلاثين طبعاً بـأنا وأحمد نبكي على حضره وكان بينما وبين الحفل نصف ساعة ولما وصلنا مكان الحفل وحضر إلينا الصابط المسؤول عن الحفل وهو محمود أبو سمره "الآن هو بالمعاش" وطلب منا بداية العزف ووجدنا في حالة غير طبيعية فطلبنا منه تأجيل الحفل ولو ساعة واحدة لأننا تلقينا حالاً خبر وفاة صديقنا الشاعر حضر حسن سعد فقال لنا: هذا كلام فلاأعلم أنتم هنا في ميدان حربى.. الكلام ده هناك في السودان إننا كلنا بنموت هنا والناس بتشفوف شغلها.. والدمع في عيني بدأت الحفل وأذكرو شنيد أغنية المرحوم حضر..

يحييا الحب دام صفاها وعاش النيل الروانا

ولكن مفارقات الحياة بعد ما التقييت من الفاصل يتبعى وطلع زميلي أحمد المصطفى، ليغنى أذكر أنه في بداية العزف كانت تتردد كلمة اللواء في اليوم أكثر من مرة فبدأ أحمد الغناء بأغنية.. "ما أحلى ساعات اللقاء" ولكنه أخطأ وقال ما أحلى ساعات اللواء.. فوق اللواء ويده العصا وتقدم نحو الزميل أحمد المصطفى وقال له: أنا مبسوط منك لأن بتعنى كوبس جداً.. وأنهى العزف بعد منتصف الليل طبعاً ولم ننسى حضر ولكن ظروف الحرب اضطررتنا أن نغنى للجنود لأنهم تكن هناك طريقة غير هذه.. وأذكر في المسيرة دي وبعد انتهاء العزف كنت أنا وأحمد في غرفة واحدة تستعين بـ كرياتنا مع المرحوم حضر ونقول بأننا فقدنا شاعراً كبيراً مهما بالنسبة لنا وسائل الله أن يعوضنا عنه خيراً..

دون غيري خصني عبد المنعم عبد الحى

بمعظم انتاجه من القصائد الغنائية

عبد المنعم عبد الحى من الشعراء اللي أنا باعتر بأخوتهم وصداقتهم لي من أيام حباتي وأنا صغير في حلتنا كما أشرت من قبل وهو في نفس الوقت كان زميلى في الخلوه الشاعر عبد المنعم عبد الحى الذي فارقنا بعد ذلك وذهب إلى القاهرة طلبا للعلم وبعد عنا فترة طويلة لم التقى معه خلالها إلا في زيارتي الأولى للقاهرة كما أشرت في ذكرياتي الماضية وكان لقاونا مثيرا وخصوصا عندي علمت أنه بدأ يكتب القصائد الغنائية وكانت فرحته بوجودي أكبر وعرض على أنا وأحمد المصطفى أغانيه.. وكان الشاعر عبد المنعم عبد الحى زي الشاعر عبد الرحمن الريح يعمل الأغاني وينصلها على المطربين فوجدهناء عامل لينا أغاني أنا بتاعتني براها وأحمد المصطفى أيضا بنفس الشئ.. وأذكر من هذه الأغانى أنه لما عرف أنه قدمت أغنية بعنوان الخرطوم يمثل لأحمد المصطفى أنا أمدرمان التي لاقت نجاحا كبيرا..

وبعدها قدم لنا أغاني كثيرة أذكر من ضمنها: سهران الليل أراقب نوره.. وهكذا فقد كان لي مع الشاعر عبد المنعم عبد الحى كما لأحمد المصطفى والزملاء الفنانين في زيارتهم للقاهرة ذكريات وجلسات فنية لا تنسى كان نتاجها قصائد عاشت ولازالت لأصالتها يتضيق المجال عن ذكرها وسائل إلى كل منها في حينها.. وأتوقف هنا وأحكى جانبا من الذكريات مع صديقى الشاعر عبد المنعم عبد الحى.. فكما أشرت بالنسبة لعبد الرحمن الريح أيضا

عبد المنعم عبد الحى شاعر يكتب فى جميع المناسبات وخاصة فى الوطنية فلم يتدرك مناسبة إلا وترى لها بفهم وصدق وإحساس كبير.. وأستطيع أن أقول بأن وجود عبد المنعم عبد الحى فى مصر ووجود نخبة من الأصدقاء من الطلبة فى ذلك الوقت وجود إذاعة باسمنا تحمل أسم "ركن السودان من القاهرة" وتعمل على نشر فنوننا كل هذه العوامل شجعنا وساعدت على حضورنا إلى القاهرة فى كل عام وأحياناً فى العام الواحد أكثر من مرة وفي كل مرة أزور فيها القاهرة سواء بمفردى أو مع بعض الزملاء من الفنانين لا أعود إلا بعد أن أقدم مجموعة من الأغانى والألحان ولا ننسى أن القاهرة كانت وما زالت مصدراً وحى كبير للشاعر والفنان بالإنتاج الجيد.

تخرج الشاعر عبد المنعم عبد الحى من الكلية الحربية برتبة ملازم ثان والتحق بالجيش المصرى وفكى الزواج واختار فعلاً رفيقة حياته من مصر وكنا موجودين فى ذلك الوقت بالقاهرة وكان معانا المرحوم سرور والمرحوم إبراهيم عبد الجليل إلى جانب إسماعيل عبد المعين وأحمد المصطفى بالطبع.. وأذكر أن عبد المنعم كتب مجموعة من القصائد الجميلة بمناسبة عرسه وقد منها كلنا ومنها مثلاً ما يصف فيها زوجته المصرية فيقول:

شامة ووردين في خدوشك يا حلوة مين مريودك
وكنا في هذه الأيام في القاهرة ما زال نشاطنا قائماً على المسرح وبالتعاون
المستمر مع إذاعة ركن السودان " وكان اسمها في ذلك الوقت الإذاعة
السودانية من القاهرة ".

عبد المنعم عبد الحى شاعر يكتب فى جميع المناسبات وخاصة فى الوطنية فلم يترك مناسبة إلا وتعرض لها بفهم وصدق وإحساس كبير.. وأستطيع أن أقول بأن وجود عبد المنعم عبد الحى فى مصر ووجود نخبة من الأصدقاء من الطلبة فى ذلك الوقت ووجود إذاعة باسمنا تحمل اسم "ركن السودان من القاهرة" وتعمل على نشر قنونا كل هذه العوامل شجعتنا وساعدت على حضورنا إلى القاهرة فى كل عام وأحبانا فى العام الواحد أكثر من مرة وفي كل مرة أزور فيها القاهرة سواء بمفردى أو مع بعض الزملاء من الفنانين لا أعود إلا بعد أن أقدم مجموعة من الأغانى والألحان ولا ننسى أن القاهرة كانت وما زالت مصدر وحى كبير للشاعر والفنان بالانتاج الجيد.

تخرج الشاعر عبد المنعم عبد الحى من الكلية الحربية برتبة ملازم ثان والتحق بالجيش المصرى وفك فى الزواج واختار فعلاً رفيقة حياته من مصر وكنا موجودين فى ذلك الوقت بالقاهرة وكان معانا المرحوم سرور والمرحوم إبراهيم عبد الحليل إلى جانب إسماعيل عبد المعين وأحمد المصطفى بالطبع.. وأذكر أن عبد المنعم كتب مجموعة من القصائد الجميلة بمناسبة عرسه وقدمناها كلنا ومنها مثلاً ما يصف فيها زوجته المصرية فيقول:

شامة ووردتين فى خدودك يا حلوة مين مرودك
وكنا فى هذه الأيام فى القاهرة ما زال نشاطنا قائمًا على المسرح وبالتعاون
المستمر مع إذاعة ركن السودان " وكان اسمها فى ذلك الوقت إذاعة
السودانية من القاهرة".

ومن حق ركن السودان علينا أن نسجل له هنا وللقائمين عليه اهتمامه بنا وبتسجيل الانتاج الغزير من أغانيات سودانية جميلة ومتعددة خلال هذه الفترة مع بداية نشأة الركـن وما زالت هذه الأغانيـات موجودـة في المكتبة الغنائية بالرـكـن في الوقت الذي تفتقدـها إذاعة أمـدرـمان ومن بين هذه الأغانيـات التي ما زالت تترددـ ويعرفـها جيدـاً مستـمعـ هذه الإذاعـة وأخـيراً تدارـكـ المسؤولـون عندـنا هذا الخطـأ وبدأـوا في تسـجـيلـ أو أعادـة تسـجـيلـ هذه الأغانيـات ولكنـ بأصـواتـ كثـيرةـ.

حقيقة أنا بحسـدـ نفسـي علىـ الانتاجـ الغـزـيرـ الذـى خـصـنىـ بهـ عبدـ المنـعـمـ عبدـ الحـىـ دونـ غـيرـىـ حتـىـ أنهـ أعـطـانـىـ فـىـ موـسـمـ وـاحـدـ عـدـدـ لاـ يـقـلـ عـنـ عـشـرـ قـصـائـدـ وـلـكـلـ قـصـيـدةـ قـصـةـ.

أذكرـ منهاـ عـلـىـ سـبـيلـ المـثـالـ أـغـنيـةـ "رمـلتـناـ بـيـضاـ بـيـنـ بـحـرـيـنـ يـلاـكـ نـزـورـاـ" فـهـذهـ الأـغـنيـةـ كـتـبـهاـ الشـاعـرـ عبدـ المنـعـمـ عبدـ الحـىـ فـىـ الـخـرـطـومـ تـحـتـ كـبـرىـ أمـدرـمانـ حـيـثـ تـجـلـىـ كـلـمـاتـ الشـاعـرـ فـىـ وـصـفـ المـكـانـ وـالـزـمـانـ حـيـنـ يـقـولـ:

رمـلتـناـ بـيـضاـ بـيـنـ بـحـرـيـنـ يـلاـكـ نـزـورـاـ رـمـلتـناـ بـيـضاـ يـالـمـحـبـوبـ يـالـكـ نـشـوفـهـ

شـادـيـنـاـ قـالـ يـالـيلـ وـطـالـ سـمـرـنـاـ وـعـزـولـنـاـ حـجـزـوـ النـيـلـ مـاـ جـابـ خـبـرـنـاـ

ولـحـنـتـ هـذـهـ أـغـنيـةـ فـىـ نـفـسـ الـلـيـلـةـ وـسـجـلـتـهاـ بـعـدـ كـدـهـ لـإـذـاعـةـ رـكـنـ السـوـدـانـ فـىـ وـقـتـ مـبـكـرـ وـماـزـالـتـ مـوـجـوـدـةـ بـهـاـ كـمـاـ أـشـرـنـاـ وـتـفـقـدـهـاـ إـذـاعـةـ أمـدرـمانـ التـىـ بـدـأـتـ تـعـيـدـ تـسـجـيلـهـاـ هـذـهـ الـأـيـامـ.

وـمـنـ الـأـغـنيـاتـ الـجـمـيـلةـ أـيـضاـ الـلـىـ بـتـذـكـرـهـاـ أـنـاـ وـعـبدـ المنـعـمـ عبدـ الحـىـ كـلـمـاـ التـقـيـنـاـ فـىـ الـقـاهـرـةـ أـغـنيـةـ "نـنـوـ يـاـ نـنـوـ" وـهـذـهـ أـغـنيـةـ كـانـتـ نـتـيـجـةـ جـلـسـةـ مـعـ الشـاعـرـ فـىـ مـنـزـلـ عـائـلـةـ سـوـدـانـيـةـ مـصـرـيـةـ وـكـانـتـ إـحـدـىـ السـيـدـاتـ تـحـلـ طـفـلـتـهـاـ

الصغيرة تداعبها وكان اسمها ناهد وكانت تداعبها بكلمة "ننو" فعجب الشاعر الأسم وعجبني أنا النغم وطلبت من عبد المنعم أن يكتب أغنية تبدأ بنفس الكلمة فكانت أغنية "ننو يا ننو" التي كتبها فعلاً في نفس الجلسة ولحنها أيضاً في نفس الجلسة وسجلتها في ركن السودان مع الرملة البيضاء وسهران يا ليل قبل أن أسجلها في إذاعة أمدرمان ولما رجعت إلى الخرطوم وسجلت نفس الأغنية في إذاعة أمدرمان لاقت نجاحاً كبيراً بسبب واحد وهو أن كل أطفال السودان افتكروا أنا بخاطبهم همه. وهكذا حظيت أغنية ننو بلقب أغنية الموسم أكثر من مرة وخاصة بالنسبة لبرنامج ما يطلبه المستمعون حيث كان يصل هذا البرنامج فقط ما لا يقل عن مائة خطاب أسبوعياً يطلب أصحابها أغنية "ننو"

أما بطل القصة الحقيقية وهي الطفلة ناهد فكبرت بعد كده بالطبع وشاعت الظروف أنها تدرس في القاهرة وكملت دراستها في الخرطوم وتزوجت.. والغريب في الأمر أنها بعد ما كبرت وعرفت القصة أحبت الأغنية بتاعتتها وبذات تغنيها بنفسها وبصوت جميل وبذاتنا أنا وعبد المنعم نستمع ليها ونستعيد هذه الذكريات.. ولعل الكثيرين لا يعرفون بأن ننو دى أو نامي دي هي ثروت أصبحت تمثل صوتاً من الأصوات اللي بتعتمد عليها إذاعة ركن السودان وخاصة في مجال التمثيليات السودانية حتى أن الشاعر عبد المنعم عبد الحى أصبح يعتمد عليها في برنامجه الأسبوعي حديث المقرن وأصبحت ضمن الأسرة التي تجتمع مساء كل ثلاثة لمناقشة موضوعاً من الموضوعات التي يتطرق إليها الشاعر في برنامج "حديث المقرن".

سيد خليفة حق وحودا فنيا كثيفا خارج السودان أيضا

أما عن تعاويني مع الشاعر عبد المنعم عبد الحى فاستمر وفى كل عام أزور خالله القاهرة الاقيه حاجزلى أكثر من قصيدة تناسبنى وخصوصا في المناسبات التي كان الشاعر يحرص على الكتابة فيها بكل جديد. ولا يفوتنى أن أشير بأن هذا الانتاج الغزير الذى قدمته لجماهيرى عن طريق الإذاعة والحفلات كان خلال الأربعينات والخمسينات حتى ظهرت فى تلك الفترة مجموعة أخرى من الأصوات الجديدة ما زالت تتردد فى هذه الفترة بروز منها أصوات محمد وردى وعبد الكريم الكابلى ولكن قبل ذلك كان فيه صوت من الأصوات التى تمثل فترة انتقال من القديم والحديث وفى الحقيقة هو لحقنا قبل ظهور وردى وهو الفنان عثمان حسين الذى قدم العديد من القصائد الناجحة وإذا أردت التعرض لهذا الفنان الصديق لا تستطيع أن أعطيه حقه فى هذا الوقت الضيق أنما أستطيع القول بأن عثمان بدأ حياته كعازف للمطرب عبد الحميد يوسف وكان يصاحبه فى حفلاته إلى الخارج فى أقاليم السودان المختلفة وبعد أن تمكن عثمان من حفظ أغانى عبد الحميد يوسف بدأ يعمل ألحان لنفسه وأخذ من المرحوم على محمود واحدة من أغانياته القديمة وتقديم لي لأتوسط بينه وبين محطة الإذاعة فى أمدرمان وفعلاً قدمته للمدير فى ذلك الوقت وكان الأستاذ متولى عيد الذى استمع له وأعجب به وطلب ضمه للإذاعة كمطرب وقدم عثمان أول أغنية ولاقت نجاحاً عظيماً وشق طريقه بعد ذلك ويمتاز عثمان حسين منذ احترافه الفن بأنه يعتمد على نفسه في مسألة التلحين ويحاول

في كل مرة أن يقدم الجديد وكان ومازال مهتما بالموسيقى في أغانياته
وهذا راجع لإجادته عزفه على العود.

مع عبد الحميد يوسف

أما عبد الحميد يوسف الذي صاحبه عثمان حسين لفترة طويلة كعازف فكان من ضمن المطربين الذين دخلوا الإذاعة قبل عثمان حسين طبعاً ودخل بأغنية أذكرني يا حمامه وهذه الأغنية غناها بعدها أهداها إلى الشاعر محمد عتيق وقدمتها قبله وهذا شئ كان معروفاً في ذلك الوقت أي فنان يستطيع أن يقدم أي أغنية معروفة بصوت آخر واستمر عبد الحميد وقدم بعد ذلك أغنية مشهورة وهي "غضبك جميل زى بسمتك" وهذه مسجلة على أسطوانة في السوق ونجحت وأنتشرت فعلاً ..

وكما أشرت من قبل بالنسبة للأصوات النسائية المعروفة في ذلك الوقت ظهرت المطربة عائشة الفلاطية وكانت معروفة بأداء أغاني التم تم المصحوبة بأنغام الدلوكة واستمرت فترة طويلة تغني في بيوت الأفراح إلى أن اكتشفها الأستاذ حسين طه زكي وقدمتها للإذاعة فكانت أول صوت نسائي تغني في محطة أم درمان وغنت عائشة أغانيها المعروفة بالتيم وهو جمت بسببها في الجرائد ولكنها انتظمت بعد ذلك واتجهت إلى الملحنين أمثال فرح إبراهيم وقدمت العديد من الأغانى من أشهرها "يجوا عايدين" المشهورة وشاعرها المرحوم على محمود وبعد ذلك ظهرت المرحومة فاطمة الحاج بأغاني جديدة مركزة ثم ظهرت مني الخير بلون جديد مختلف عن لون عائشة فاطمة.

الناج مصطفى

ومن الزملاء الفنانين الذين عرّفوا في هذه الفترة أيضاً الزميل الفنان الناج مصطفى ومهماً عبد الدافع عثمان ورمضان حسن والفنان الشاب في ذلك الوقت إبراهيم عوض.. وهذا الأخير تتمتع بشهرة كبيرة خلال الخمسينيات وبعدها نتيجة تعاون الشاعر عبد الرحمن الريح معه وتقديمه له ألبوان جديدة وعديدة من القصائد وبعده استلمه الطاهر إبراهيم وإبراهيم الرشيد.. ولعل المستمع يذكر من بين أغانيات إبراهيم عوض "أبيت الناس وحبيبي جنبي وألم الفراق" وغيرها

وهنا نتوقف ونتكلم عن زميل وفنان في الوسط الفني اعتز بصداقته وبزماته لي في أكثر من رحلة في السودان وخارجها وهو الفنان سيد خليفة فقد قابلته بعد معرفتي له في الشرطوم كشاب عادي في القاهرة وكان يغنى الدراسة في معهد الموسيقى العربية وكنا في بعثة زواج الملك فاروق ولما حضروا إلى القاهرة وجدناه في كل البرامج الموجودة لاحتفالات الملك السابق واستغربت جداً من هذا الشاب وهو في بداية حياته في المعهد نال كل هذه الشهرة للدرجة التي تقدمه فيها محطة الإذاعة المصرية في حفلات الملك السابق التي أقيمت عند الأهرامات وفي نادي الضباط وحدائق الأندلس كل ذلك في ذلك الوقت الذي كنا فيه مهتمين ومتخوفين في نفس الوقت من فشل اللون السوداني عندما تقف على المسرح.. وأنظرت أول حفلة يغني فيها سيد وفعلاً غنى فيها بثبات عظيم وقدم راسخ وكأنه يطرب عليه سينين طويلة ولاقي سيد نجاحاً عظيماً وكانت الحفلة عند أهرامات الجيزة بعدها شددت على يدي سيد وقلت له ثق بأنك ستكون فنان له شأن

خطيم فلا تخف ولا تسمع كلام الناس وأنا متأكد أنك ستكون في يوم من الأيام الفنان الكبير سيد خليفة وأبسط مني سيد فعلا وكان دائما يقول لي أنك أنت من ضمن الزملاء اللي شجعوني بروحهم الطيبة.. وفعلا نجح سيد وأذكر أنه بكى عندما اشترك معنا في حفل فنان الموسم وفاز بلقب فنان الموسم واستحق الجائزة وفي هذه الليلة كرر سيد نفس الكلام وقبلني وقاللي يا حسن أنت السبب وأنا لا أنسى نصيحتك لي.

مناسبات الفنانين

رجعت إلى الخرطوم بعد أيام جميلة في القاهرة فوجدت الفن في الخرطوم أزدهر وظهرت أصوات جديدة ووجوه جديدة أثبتت وجودها في الوسط الفني ومن أشهرهم دون ترقيب "سيد خليفة، الكابلي، محمد وردي، إبراهيم عوض، ومحمد الأمين" وكان من الطبيعي أن تشتد المنافسة بين جميع الفنانين وبالتالي إزداد عدد المعجبين بكل فنان كما زاد عدد الرحلات الفنية داخل السودان وفي العاصمة أزدحمت الليالي الساهرة، ليالي المقرن وليالي الأفراح وليالي الأندية والمسارح وأصبح الفن يدر مبالغ كبيرة وأصبح لكل فنان سيارة خاصة وبنوا المنازل بل شيد بعضهم الفيلات والقصور واشتدت المنافسة بالفعل في مسألة المنازل والعربات وأصبح كل فنان يمتلك عربة أولاً ومنزلاً يكون في حي راق جميل ويكون كاملاً من كل شيء وخاصة من حيث الكماليات فصارت المنافسة منافستين منافسة في الفن ومنافسة في اقتناء المنازل والعربات والكماليات.

أذا بدأنا بنشاط الفنان سيد خليفة نجده قد تلمنذ على يد الفنان إسماعيل عبد المعين وتقريراً سلك نفس طريق الفنان إسماعيل في شكل

الألحان بتأطيره غير أنه بعد فترة وجيزة سلك سيد خليفة لوحده ولحن معظم أغانيه لنفسه وبنفسه وعلى الطريقة الغربية الخفيفة التي تجذب الأسماع ويتمايل على أنغامها الشباب.. ونجح سيد خليفة إلى حد كبير في هذا الاتجاه ولعل أغنية "المامبو" ومن بعدها "أزيكم" خير شاهد على ذلك الأولى للشاعر عبد المنعم عبد الحى والثانية للشاعر إسماعيل حسن وبالمناسبة سيد لحن أغنية المامبو في القاهرة وعرفتها القاهرة قبل الخرطوم وجاءت بعد ذلك أغنية أزيكم التي لا تقل شهرة عن المامبو لأن كلماتها بسيطة وعلى شكل تحية تقال في أي مكان "أزيكم كيفنكم لى زمان ما شفتكم"

ولم يقف سيد عند هذا الحد بل كلما كانت تناح له زيارة قطرا من الأقطار كان يترجم كلمات الأغنية بلغة القطر ذاته ولا فرق أن كان هذا القطر عربيا أو أفرنجيا.. فمثلا زار سيد الصومال فغنى أزيكم بالصومالي ونفس الشئ في الجبنة كما زار لندن وغنى أزيكم بالإنجليزية ومن هنا نقول بأن الفنان سيد خليفة عمل أغاني عالمية ومفهومة سواء في أفريقيا أو أوروبا كما سجلت هذه الأغاني في عدة محطات عربية وأوروبية وسجلت أيضا في أسطوانات يبعث داخل السودان وخارجها.

بأغاني الرطانة بدأ وردي مشواره

الفنان عبد الكرييم الكابلي قد دخل الإذاعة وكان وقتها موظفاً وكان ذلك في عام ١٩٥٩/١٩٦٠ م وكان في بداية مشواره الفني يعني لبعض المطربين أغنية أو أغنتين ولكن كان يحفظ كل الأغاني التي ظهرت بها أنا في أول حياتي وبعد ذلك نقل الكابلي إلى "مروي" وهناك كون شخصيته الفنية ولحن بعض الأغاني التي انتشرت بعد ذلك ومن أشهرها "أوبريت مروي" فيك يا مروي شفت كل جديد.. وبعد مروي نقل إلى الخرطوم وعمل بالإذاعة بشكل دائم وأنتج معظم أغانيه التي لاقت رواجاً كبيراً وكانت من بينها ما قدمه من أغانيات وطنية أعدت خصيصاً بمناسبة زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للسودان من أشهرها "ناصر وقم صلاح الدين إلى جانب أنشودة آسيا وأفريقيا ودى حكاية لوحدها فقد أبدع في لحنها وأدائها الفنان عبد الكرييم الكابلي مما جعله بعد ذلك من أوائل الفنانين في السودان الذين يتفاعلون بصدق وإحساس كبير مع الأحداث سواء كانت عالمية أو عربية.

إبراهيم عوض

أما الفنان إبراهيم عوض فكما أشرت من قبل أرتبط اسمه منذ البداية بالشاعر الكبير عبد الرحمن الريح وهو الذي شجعه على دخول الإذاعة وكتب له ثلاث أغانيات ليدخل بها أمام اللجنة ونجح فعلاً إبراهيم من أول مقابلة وسرعان ما أنشر على الساحة.. وبعد عبد الرحمن الريح جاء دور الشاعر الطاهر إبراهيم ليكتب مجموعة من الأغاني الناجحة لإبراهيم عوض

وبالمناسبة الأثنان من حى واحد وهو حى العرب فى أمدرمان وهذا ساعد
كثيراً فى تواجدهما مع بعض على طول و كان الريح بالطبع غير بعيد..
وهكذا أستحق إبراهيم عوض لقب فنان الشباب وأخيراً وعلى وزن الكلمة
الشباب صار يأخذ الحانه من الشباب وفي مقدمتهم عبد اللطيف خضر "ود
الحاوى" وهذا الأخير لحن له أروع انتاجه من أشهرها أغنية "يا زمن وقف
شوية".

محمد الأمين

وإذا تحدثنا بعد ذلك عن الفنان محمد وردى والفنان محمد الأمين فنجد
أن وردى ظهر لأول مرة عام ١٩٥٧ م وكان يغنى في البداية أغاني بلده في
الشمالية بالبرطانة مثل أغنية "الليلة يا سمرة" هذا إلى جانب أداء بعض
أغانى الفنانين ومن ضمنهم كانت أغنياتى لوأنت نسيت واقول أنت نور
وظهر نور الشروق وظهر وردى بهذه الأغانيات في بيوت الأفراح واستمر على
هذا الحال إلى أن قدمه المحامى عبد الماجد أبو حسبيوا إلى صديقه
المرحوم محمد خانجي وتقدير بنفس الأغاني اللي تكلمنا عنها، وبعد فترة
بدأ وردى يلحن أغانيه الخاصة والتى كان يكتبها له صديقه الشاعر إسماعيل
حسن ونجح وردى في التلحين والأداء وبسرعة قفز إلى صف فنانى الدرجة
الأولى وقدم عدداً من الأغانى والأناشيد الوطنية ومن أشهرها نشيد أكتوبر
الذى رددته الجماهير من وراءه.

وجاء بعد ذلك الفنان محمد الأمين فى عام ١٩٦٣ م تقريباً وهو من دفعة
الفنانين الذين ظهروا لأول مرة في حفل مسابقة المدريات وكان من بينهم
أيضاً الفنان عثمان مصطفى والطيب عبد الله وقدم محمد الأمين أولى

أغانياته "أنا وحبيبي" وبعدها "الساعة جيتك" وبدأ ود الأمين يلحن لنفسه ويجهد في كل لحن بتقديم الجديد واتجه بعد ذلك في عمل الأناشيد الوطنية في المناسبات المختلفة وأجاد فيها.. ومن حق الفنان محمد الأمين أن نسجل له هنا بأنه أول فنان تقاضى أكبر أجر في نشيد حيث بلغ أجره ١٠٠٠ جنيه سودانيا في النشيد الواحد كما أنه أول فنان سوداني في تجديده للألحان .. فقد نجح في إدخال السلم السباعي مع الأحتفاظ بالطابع السوداني.

بناء المسرح القومي

لقد بدأ التفكير في بناء مسرح قومي في السودان وفي مدينة أمدرمان العاصمة الوطنية للسودان وكان ذلك في أيام حكم الرئيس إبراهيم عبود ١٩٥٨ وكان وزير الأعلام في ذلك الوقت السيد طلعت فريد ومدير الوزارة السيد محمد عامر بشير "فوراوي" ففكروا بعد أن طلبوا من وزارة المالية المبلغ الذي يكفي لبناء المسرح ولكن الوزارة لم تكن مستعدة لدفع المبلغ المطلوب وكان ستين ألف جنيه تقريبا.. ففكرت وزارة الإعلام في إرسال بعثات فنية داخل السودان لجمع المال اللازم لبناء المسرح وفعلاً أرسلت بعثة فنية لأول مرة إلى مدينة عطبرة وكانت تضم جميع فناني الدرجة الأولى وكانت أنا من بينهم وأقيمت الحفلة في ميدان كبير وسط المدينة وشهدت عطبرة ولأول مرة حفلاً غنائياً حضره عدد كبير من الفنانين وحضر الحفل بالإضافة إلى ناس المدينة عدد كبير من ضواحيها بلغ ما يزيد عن أربعة آلاف نسمة وطبعاً الحفلة كانت بإشراف الحكومة عشان كده كانت منتظمة جداً وخاصة من حيث توزيع الميكروفونات لضمان سلامه الصوت إلى

جانب التنظيم من حيث الجلوس مع حراسة كافية من رجال البوليس ولذلك جاء دخلها كبيرا مما دعا المسؤولين لعمل نفس الحفل في باقي مديريات السودان.. وفعلا عملنا حفلات عديدة مثل هذا الحفل وزاد الدخل في كل حفل وبعد مكافآت الفنانين والعازفين فاض ما يكفي لبناء المسرح وزيادة وكل ده طبعا بعد مصاريف السكن والسفر برا وبحرا وجوا وبدأ المسرح في التشييد وقام فعلا في الموعد المحدد وتم افتتاحه رسميا في حفل كبير حضره الرئيس السابق إبراهيم عبود والوزراء وكبار رجال الدولة، كما حضره رجال السلk الدبلوماسي وقمنا نحن الفنانين بإحياء الحفل الذي نجح نجاحا كبيرا وهكذا أصبح لنا مسرح قومي سوداني عملت عليه جميع فرق العالم من محترفين وهوادة.

طلعت فريد والتليفزيون

هذا عن المسرح القومي أما عن التليفزيون فقد فكر نفس الوزير السيد طلعت فريد بعد نجاح المسرح القومي في إنشاء التليفزيون وبعد اتصالاته بالدول الصديقة في هذا الشأن وجد من بينهم من يقوم بهذا العمل وكانت على ما أظن هولندا، وفعلا حضر إلى السودان بعض الفنانين من هولندا وعملوا مسحا شاملا وكملا بعده تم تركيب آلات التليفزيون ومعداته لترسل إلى مدى ٦٠ ميلا مما يغطي العاصمة المثلثة وضواحيها وعمل له أيضا حفلا كبيرا وفي يوم الأفتتاح حضر أيضا الرئيس عبود والوزراء ورجال السلk الدبلوماسي العربي والأجنبي وبرضه كنت من ضمن الذين شاركوا في العرض الأول في تليفزيون جمهورية السودان، ونجح التليفزيون وانتظمت برامجه وكان في أول الأمر يستوعب جميع الفنانين لأنه يعمل بطريقة

الإذاعة برامج تخللها أغاني وكان أجر فنان الدرجة الأولى ثلاثين جنيها سودانيا والدرجة الثانية عشرين جنيها.

وبعد نجاح الفنانين في أداء واجبهم على الوجه الأكمل وبعد أن برهنوا على أنهم أكفاء وبمكنتهم تقديم فنهم السوداني بشكل لائق فكرت الحكومة مع وزارة التربية والتعليم السوداني في إرسال بعثات فنية للجمهورية العربية المتحدة ولطلبة في المملكة المتحدة وأرسلت بعثات فنية سنويا إلى لندن وكانت البعثة في أول الأمر عبارة عن مطرب واحد يذهب إلى لندن بمفرده لكن لم يعجب الطلبة هذا الوضع فتطور الحال بإرسال مغني وعازف واحد ثم مغني وثلاثة عازفين وكانت هذه البعثات ترسل إلى لندن في ذمن الشتاء بالذات وفي رأس السنة الميلادية بالذات لأن الطلبة في هذا الوقت يجتمعوا في لندن لحضور ليالي الكريسماس ورأس السنة وكانت البعثة تستمر عشرة أيام وفي نفس الوقت كانت تنتهز إذاعة لندن هذه الفرصة وتسجل للفنانين كل انتاجهم كما أن الفنانين بعد أن ينتهيوا يبدأون في طريق العودة زيارة بعض بلاد أوروبا مثل إيطاليا وفرنسا وألمانيا وغيرها.

سرور كان أول فنان سوداني ينقل أغانيها إلى أثيوبيا وأريتريا

وفي تلك الدول التي كنا نزورها في طريق العودة بعد الابتهاء من البعثة كنا نلتقي فيها أيضاً بعده من الدارسين من أبناء السودان وهم الذين لم تتمكنهم ظروفهم الدراسية من الحضور في أجازة رأس السنة إلى لندن فكان هؤلاء الطلبة من الدارسين يحسنون استقبال الفنانين ويساعدونهم في عمل تسجيلات لهم في هذه البلاد إلى جانب ما يقدمونه من هدايا وما يتيسر من مال يجمعونه من بعضهم.. وبعد كده فكروا أنا والأخ أحمد المصطفى في تنظيم رحلات إلى البلاد الصديقة المجاورة لنا مثل الجمهورية العربية المتحدة والجيشة وأريتريا وذهبنا فعلاً في عدة رحلات إلى مصر في الأول وعملنا ليالي كما أشرت من قبل - ونجحت نجاحاً كبيراً إلى جانب نشاطنا مع ركن السودان الذي كان يسجل النتاجنا أولاً بأول ولأول مرة أيضاً كوننا فرقة أنا والزميل أحمد المصطفى وذهبنا إلى أريتريا أول الأمر كتجربة وبدأناها من أسمرة العاصمة وأعلنا عن ليالينا في سينما رايوفى أهم شارع من شوارع أسمرة وفوجئنا عند بداية الحفل لما رأينا كتلاً بشريّة زاحفة للمسرح وكل واحد منهم يمني نفسه بأن يفوز بتذكرة واخذ حمّت الصالة ونقدت التذاكر وكان الجمهور خارج المسرح أكبر بكثير من الموجود بالداخل..

وأذكر في هذه اللحظة بكلينا أنا وأحمد من قرط السعادة وخرجنا بعد كده واعتذرنا لأخواننا الأريتريين الذين لم يحالفهم الحظ لحضور أول حفل لنا

بأريتريا وأعلنا لهم بإقامة حفل ثالث وصفقوا لنا ولكنهم لم ينصرفوا بل بقوا في أماكنهم أملاً في أن يجدوا تذاكر وانتهت الليلة الأولى في الساعات الأولى من الصباح وبعد أن عصرنا عصراً وأرهقونا من كثرة الطلبات وكانت مفاجأة لنا أنهم يحفظون أغانينا كلها ولما سألنا عن السبب؟ قال لنا أهل البلد: أن الاريتريين يقتنون مسجلات ويسجلون فيها كل ما يسمعونه من إذاعة أمدرمان.. بعد كده تجولنا في المدينة وكنا كلما مررنا بمقهى أو أي محل أو حتى منزل سمعنا أصواتنا واتضح أنهم سجلوا الحفلة وبطريقة لا نعرفها نحن وزعنت التسجيلات على كل المحلات الكبيرة وكان مقلب من صاحب السينما لأنه كان يبيع هذه الأشرطة دون علمنا.

وبهذه المناسبة ما ننسى فضل المرحوم محمد أحمد سرور في أريتريا فهو أول فنان ذهب إلى أريتريا وكان يسجل كل أغانيه في مصر ونقلها إلى السودان ثم إلى أريتريا وبدأ يتاجر بها وكان يبيع الأسطوانة بمبلغ جنيه واحد استرليني وكانت تكلفة الأسطوانة أقل من خمسة عشر قرشاً مصرية وكان عندما يبيع أي أسطوانة من الأسطوانات كان يغني ويرقص معها أثناء سماع المشتري لها وهكذا باع جميع ما لديه من أسطوانات وعادت عليه بأموال طائلة في ذلك الوقت.. ومن هنا فقد كان الحاج محمد أحمد سرور سفيراً للسودان في أريتريا وأثيوبيا غير متوج.. وكلمة حق أقولها بأنه قبل زيارات الحاج سرور إلى الحبشة لم تكن للحبشة أغان على السلم الخماسي وتقدر تنسو أن الحاج غير معالم الموسيقى الأثيوبية وجعلها أقرب إلى الموسيقى السودانية ومن هنا علمنا أنا وصديقي أحمد المصطفى سبب هذا الإقبال على حفلاتنا بعد أن عملنا ثالث حفل في أريتريا وقبل أن نروي ظمأ

أخواننا في أسمرة وفي كرن وهي مصوع ولم ندخل عليهم وفعلاً ذهبنا إلى هذه البلاد وعملنا فيها عدة حفلات كانت ناجحة للغاية ولما رجعنا إلى أسمرة التردد قليلاً قبل العودة إلى السودان وجدنا أمامنا عقداً جاهزاً لكي نسافر إلى أديس أبابا عاصمة الجبشت لتعمل في مسارحها. وبأسرع فرصة ممكنة لأن كل الناس في أديس أبابا سمعوا بأن هناك فرقة Sudanese تعمل في ارتريا وفعلاً ذهبنا إلى أديس أبابا.

نتحدث بعد ذلك عن دخول الآلات الحديثة في الموسيقى السودانية فقد كنا بنشتغل بالعود والكمان والإيقاع بالإضافة إلى إيقاع الجاز المكون من طبلة كبيرة وأخرى صغيرة وصاح كبير ده كان كل الأوركسترا وبعد كده زاد عدد العازفين على الكمان وعدد العازفين على الإيقاع ووصل السودان الزميل خميس بنجيز واشترك معنا وكان أول بنجيز يشترك معنا فعلاً وبعد كده ظهرت الطلبة المصرية والتي تستعمل في الأفراح المصرية وظفير الرق أيضاً ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل بدأنا في إثارة آلات النفح على المسرح وفي الإذاعة أيضاً أول فنان وهو شرحيل أحمد وغنى بها وكانت أول فرقة جاز في السودان وغنى بها بكل اللغات العربية والإنجليزية إلى جانب بعض أغاني أخوانا الإفريقيين وفكروا بعد ذلك في إدخال هذه الآلات ضمن أوركسترا الإذاعة وقد كان وفكروا في أن تلزم الحكومة بأن تحضر لنا عازفين أحذن لتطوير فن الموسيقى.. وبعد اجتماعات كثيرة بين نقابة الفنانين وبعض الوزراء المعنيين خرجنا بنتيجة وهي أن تتجه إلى الجمهورية العربية المتحدة نستجلب منها بعض الأساتذة المتخصصين في الموسيقى ليعملوا أولاً كمدرسين للمطربين والعازفين العاملين في الحقل الفني.. ثانياً: لتنظيم

الأوركسترا وفعلا تم الاتفاق على التبادل الفني بين جمهورية السودان ومصر على أن ترسل لنا مصر أول دفعة من الأساتذة الموسيقيين وفعلاً أرسلوا لنا أول أستاذ وكان هو الأستاذ مصطفى كامل.. وحضر إلى السودان بالفعل في أوائل الخمسينات وعمل به فترة طويلة تقدر بثمان سنوات وبعد أن نجح الأستاذ مصطفى كامل في مهمته أرسلت لنا مصر عددا آخر من الأساتذة، وعملوا معنا في الإذاعة والتليفزيون كمدرسین وعازفين في نفس الوقت هذا من جانب ومن جانب آخر فقد عمل الأستاذ إسماعيل عبد المعين كأستاذ لمدرسة موسيقية وتخرج على يديه عدد من الطلبة.

أول ظهور لنا بالتلذفيون كان بمناسبة زواج الملك فاروق

كنا نحن أعضاء الفرقة السودانية من فنانين وعازفين أول فرقة تشتراك في برامج التلفزيون المصري خلال فترة تجربته بهذه المناسبة.. وأذكر بقية البرنامج بالضبط وهو تلاوة قرآنية من قارئ مصرى معروف وبعده برنامج بابا شارو وبعده أغنية لغريد الأطرش وكانت تصاحبه عادة الفنانة الراقصة سامية جمال وفي النهاية كان البرنامج السوداني الذى استمر لمدة ساعة قسمت علينا بالتساوي كل مطرب ربع ساعة وكنا قد عملنا قصائد بهذه المناسبة وقدمناها من أول يوم وكانت الأغانى جميعها تمجد الملك السابق وقد لاقت هذه الأغانيات نجاحاً كبيراً نظراً لأنها ولأول مرة يستمع الجمهور بأغانيات صوت وصورة معاً من خلال التلفزيون وهكذا استمرينا نشتراك في كل البرامج التي قدمت بهذه المناسبة وفي ختام الحفلات أذكر أن الملك السابق أقام حفل استقبال كبير في قصر عابدين وخلال الحفل منح كل الضيوف أوسمة ونياشين وكانت من درجة الباسوية والبكوية نال من ضمنها الوفد السوداني السياسيون فقط بعض النياشين وكان يسمى نيشان النيل .

ورجعنا بعد ذلك إلى السودان جميراً وبرغم أننا لم ننل أي وسام أو نيشان إلا أننا قوبلنا مقابلة عظيمة في السودان بصفتنا أول مطربين نغني في حفلات زواج الملك وأمام الملك نفسه وأمام الوزراء والعلماء والأمراء ورجال السلك الدبلوماسي الأجنبي ونحن أيضاً كنا فخورين بأننا أصبحنا مطربى الملوك والعلماء .. وبعد أن دعانا الملك السابق صارت لنا سابقة وفعلاً وبعد أن استقل السودان وعمل أول حفلاته بعيداً الأول للإستقلال والذي حضره ضيوف من جميع الدول الصديقة قمنا نحن الفنانين بدورنا

في عمل القصائد التي تمجد السودان وعظمته وقدمناها في ليالي أول عيد لنا وأمام جميع الضيوف ولمعت أسامينا كمطربيين عالميين.

وبعد كده استقلت بعض الدول الإفريقية وصارت كل دولة تعمل عيد ليوم استقلالها وبالتالي توجه تلك الدول الدعوة إلى جاراتها من الدول الإفريقية وكنا نحن دائمًا الطليعة بالنسبة لاحياء الحفلات الغنائية التي كانت تقام بهذه المناسبات وهكذا اتيحت لنا زيارة عدد لا يستهان به من دول إفريقيا.

ولما شعرنا بعد ذلك بأننا ممكن جداً نعرض فنتنا في أي دولة فكرنا في تنظيم رحلات فنية نجحوب خلالها بعض البلاد الصديقة.. وكان أول هذه البلاد بعد مصر هي أثيوبيا وأذكر أنني اتفقنا مع الزميل أحمد المصطفى لتشكيل فرقة ترأستها أنا وهو لذهب بها إلى هناك. وفعلاً وبعد ثلاثة أيام كانت قد تشكلت الفرقة مني أنا وأحمد كمطربين وأربعة عازفين هم حسن خواص وبابكر محمد أحمد وعبد اللطيف خضر وعبد الفتاح حامد.. وكان معنا أيضاً العم خضر الحاوي وبالحظ هنا أن كل النمر كانت ثلاثة فواصل غنائية .. فاصل لحسن عطيه وأخر لأحمد المصطفى والثالث من العم خضر الحاوي وتكررت هذه الفواصل حتى لاقت جميعها نجاحاً عظيماً.

وواصلنا بعد ذلك رحلتنا في جميع أنحاء الأمبراطورية الأثيوبية كما قلت، ولما رجعنا إلى السودان استمر نشاطنا في إنتاج الجديد والاستعداد في نفس الوقت لمثل هذه الحفلات الخارجية عند زيارتنا المرتقبة للدول الصديقة إلى أن جاء يوم عيد تتويج الأمبراطور هيلاسلاسي وقدمنا لها دعوة رسمية وكانت هذه ثانية دعوة رسمية لنا بعد دعوة الملك السابق والتي تحدثت عنها.. والدعوة هذه المرة كانت من قصر الأمبراطور.. وتدخلت الحكومة السودانية هذه المرة في تشكيل الوقود المسافر بمساعدة وزارة الخارجية وتم التشكيل وذهبنا إلى أثيوبيا وقدمنا عرضًا عظيماً صفق له الجمهور كما صفق له الأمبراطور بنفسه كثيراً .. السبب الذي دعاه لعمل حفل استقبال

بالقصر للوفد السوداني وحضره هو بنفسه وقدم لنا فيه بعض النياشين وأهم من هذا كله أن هذه الدعوة الفنية أثرت كثيرا في تطوير الفن الموسيقى هناك حيث كان إخواننا الأثيوبيين لا يعترفون ولا يغدون إلى على آلة واحدة وهي الربابة وهم يسمونها هناك "الكرار" ولكن بعد ظهورنا أتماهم بالآلات الحديثة مثل العود والكمان والرقو والجاز والأوكرديون أثروا بهشتهم ولا أنسى أن أقول وكما أشرت في قبل بأن هذا الفضل يرجع للمرحوم الحاج محمد أحمد سرور والذي قاد الجملة من ١٩٣٧ أول الحرب العالمية الثانية وكان المرحوم يعمل سائق لوري ينقل بضائع من كسلا إلى أسمرة ومن كسلا إلى أقدوان وكان يصل إلى أي بلد من هذه البلاد وخلال وقت الراحة يقيم حفلات شعبية مجانا في مقهى أو في ميدان ويعرض فيه الفن السوداني وكان في أول الأمر يقابل بالضحك والاستهتار وشوية شوية وبعد كفاح طويل وصل الحاج سرور إلى غايته وكان فعلا قد زرع الفن السوداني في الأرضي الأثيوبيه وببدأ يلمع اسمه كفنان موهوب عظيم.. وكان كلما حل في مدينة وعرفت المدينة أن الحاج موجود ذهبوا إليه رجالا ونساء وطلبو منه الغناء ولما اشتهر الحاج في هذه البلاد كأول صانع للموسيقى فكر في عمل حفلات السينما ليعرف مدى تجاوب الشعب مع فنه.. وفعلا عمل عدة حفلات أكدت له نجاحه في هذا الميدان كما درت عليه هذه الحفلات ملاكثيرا مما جعله يعيش بصفة دائمة في أريتريا إلى أن توقف الله ودفن في جبل بقرية قريبة جدا من العاصمة أسمرة وأسمها "عداقة حموتي" وبالعربي ديم الخميس أو سوق الخميس وهذا الجبل عادة يدفن فيه المسلمين فقط ..

كلمة من المركز



فؤاد عمر

فى مساء الأربعاء ٢٢/١/٢٠٠٣ كان فقيد وادى النيل فؤاد عمر أحد الوجوه اللامعة فى احتفال السودانيين بعيد الاستقلال فى دار سفير السودان بالقاهرة وكان مصرا على التقاط الصور التذكارية مع عدد من أصدقائه منهم الأديب الكبير الطيب صالح والوزير

السابق وخبير الإدارة الدكتور حسن أبشر الطيب وسفير السودان البروفسيور أحمد عبد الحليم والفنان السودانى إبراهيم خان وخرج من الحفل وهو فى قمة السعادة، وكانت مفاجأة مصحعة عندما سمع الأصدقاء خبر رحيله فى صباح اليوم الثانى الخميس ٢٣/١/٢٠٠٣ ..

لقد عاش فؤاد عمر حياته كلها بين أبناء السودان وأختار له القدر أن يكون آخر نشاط يشارك فيه هو ذلك الحفل الذى جمع أكبر عدد من أصدقائه ومعارفه من أبناء السودان.

وفؤاد عمر كان يعتبر نفسه أحد أعضاء أسرة مركز عبد الكريم ميرغنى ساهم فى نشاطاته الثقافية والفنية وأنقى العديد من المحاضرات فى دار المركز بأمدرمان وأصدر له المركز قبل ذلك كتابه الذى تحتوى على مذكرات ود القرشى تم كتابه الثانى عن سيد خليفة وهذا هو كتابه الثالث عن الفنان حسن عطيه وباقتراح من عميد أسرة المركز الأستاذ محمود صالح سيتولى المركز طباعة مؤلفات الراحل المقيم فؤاد عمر الذى سيظل أسمًا خالداً فى تاريخ وادى النيل، حنونه وشماليه ..